

Romanticism in Modern Arabic Literature & The Contribution of Gibran Khalil Gibran

*Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfillment of the requirements
for the award to the degree of*

MASTER OF PHILOSOPHY

Submitted by
ABDUL QUDDOOS

Under the supervision of
DR. ZOHURUL BARI AZMI

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

INDIA

1999

Dated:21/07/99

Declaration

I declare that the material in this dissertation entitled " **Al-Harakah Al-Romansia Fil-Adab Al-Arabi Al-Hadith Wa Musahamato Gibran Khalil Gibran (Romanticism in Modern Arabic Literature & the Contribution of Gibran Khalil Gibran)**" submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or other university/institution.



Abdul Quddoos

Name of the Scholar

Z. Bari Azmi 21.7.99

Dr. Z. Bari Azmi
Supervisor
CAAS/SLL&CS/JNU



Dr. F.U. Farooqi
Chairperson
CAAS/SLL&CS/JNU

رسالة البحث

للماجستير في الفلسفة

الحركة الرومانسية في الأدب العربي الحديث

و مساهمة جبران خليل جبران

الباحث

عبد القدوس

تحت إشراف

الدكتور ظهور الباري الأعظمي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لعل نهرو، نيو دلهي - ١١٠٠٦٧

الهند

١٩٩٩

١١٠

الإهداء

إلى

أمي الحنون و أبي المشفق

مقدمة

منذ فترة مبكرة كانت طبيعتي تتأثر بما يلاقيه الناس من الشقاء والعناء والحزن والألم والكآبة والأسى، وعند ما وصلت إلى المرحلة الثانوية وبدأت قراءة الكتب الأدبية وخاصة الكتب المليئة بالعواطف والمشاعر للحزن والألم والشقاء والعناء، مثلاً كتب جبران خليل جبران، و خليل مطران، و مصطفى لطفى المنفلوطى، و على الطنطاوى وغيرهم و أثرت مثل هذه الكتب على أعظم تأثير، و أعجبت خاصة بأسلوب جبران خليل جبران إعجاباً كبيراً و عند ما مررت بكتب جبران كأنما وجدت بغيتى التى كنت أفقدها منذ زمن، لذلك وقع إختيارى على موضوع يتناول المشاعر العاطفية التى كانت نفسى متأثرة بها منذ نعومة أظفارها، و قد عالجهها جبران خليل جبران بأسلوب ممتع رائع، فقررت ^{ان} إختيارها لى موضوع "الحركة الرومانسية فى الأدب العربى الحديث و مساهمة جبران خليل جبران" و كانت فترة القرن التاسع عشر و القرن العشرين فترة حاسمة فى تاريخ الأدب العربى الحديث، و قد وقعت فى هذه الفترة تغيرات كبيرة و تقلبات عظيمة لا يزال يذكرها التاريخ الإنسانى، و كذلك حدثت فيها حركات و إتجاهات أدبية كثيرة، و كانت تتميز هذه الفترة بإنقلابات هائلة فى العلوم و التكنولوجيا و الصناعة و المستحدثات المتنوعة، و كان هناك تبادل كبير بين الثقافات و الحضارات المختلفة و أثرت إحداها على الأخرى،

فكان من الطبيعي أن تخضع اللغة العربية لهذه التطورات ، نتيجة من ذلك دخلت الحركة الرومانسية في الأدب العربي الحديث و أثرت عليه تأثيراً أبلغ ، و أضافت إليه ثروة قيمة لا تزال تفتخر بها اللغة العربية . و قد لعب جبران في تطويرها دوراً رائداً أساسياً .

و قد اخترت هذا الموضوع لكي نتعرف على مدى تأثير هذه الحركة الرومانسية العربية و تأثيرها على الأنواع الأدبية الأخرى ، و كذلك أهميتها في الأدب العربي .

و قد وزعت هذه الدراسة على ثلاثة أبواب و مقدمة ، في الباب الأول الذي يحتوي على ثلاثة فصول ، تتبع نشأة الحركة الرومانسية و تطورها ، و الأسباب و العوامل التي سببت لنشأتها ، و كيف إنتقلت هذه الحركة إلى اللغة العربية . و في الباب الثاني الذي أيضاً يحتوي على ثلاثة فصول ، تناولت فيه ميزات الرومانسية العربية و ذكرت في ذلك ثلاث جماعات ، جماعة الديوان ، و جماعة أبولو ، و جماعة المهجريين و بينت ميزات هذه الجماعات الرومانسية ، لأن هذه الحركة الرومانسية العربية وجدت بفضل هذه الجماعات . و في الباب الثالث و هو أيضاً يشتمل على ثلاثة فصول ، ذكرت فيه حياة جبران ، و آثاره الأدبية ، و مدى الرومانسية فيها .

و قد واجهت مشاكل كثيرة و صعوبات عديدة في إكمال هذه الأطروحة ، فلو لم يكن تشجيع و تحفيز الأصدقاء المخلصين و مساعدتهم الغالية ، لما يمكن لي تجديد هذه السفينة إلى الساحل ، و قد ساعد في ذلك كثير من الإخوة و الأصدقاء المحترمين خاصة الأخ الكريم الغالي أشفاق أحمد الذي لا أنسى فضله أبداً ، و الأخ المحترم مجيب الرحمن الذي قام بإرشادي و توجيهي في كل مرحلة من مراحل حياتي المهمة ، و كذلك أشكر

الأخ العزيز سراج أحمد الذى ساعدنى فى طباعة هذه الأطروحة مساعدة كبيرة ما كنت أتوقعها منه .

و أخيراً أشكر أستاذى و مشرفى المشفق الدكتور ظهور البارى الأعظمى الذى قام بإشرافى و توجيهى فى كل مرحلة من مراحل إعدادها مع صحته العلية ، و تحمل المشاكل و الصعوبات من أجلى ، فى الحقيقة لو كنت إستطعت من تقديم هذه الأطروحة فكان ذلك بفضل جهوده القيمة و إرشاداته الغالية و هو ما زال و سيزال مصدر العطاء و التوجيه بالنسبة لى ، و أدعو الله سبحانه و تعالى أن يجزيه جزاءً حسناً .

عبد القدوس

٢١، ٧، ١٩٩٩

﴿الباب الاول﴾

الحركة الرومانسية

الفصل الأول

النشأة التاريخية للحركة الرومانسية

تختلف الأقوال والآراء في نسبة الكلمة وإشتقاقها اللغوي ، و لكن القول الأرجح^١ هو أن هذه الكلمة مأخوذة من جذرها الأصلي "Roman" معناه القصة الخيالية الطويلة أو إحدى قصص المخاطرة و المغامرات التي سادت في القرون الوسطى شعراً و نثراً ، و عن هذه الجذور^{المجذور} تفرعت و تطورت كلمات و أوصاف أخرى في لغات مختلفة و في رأى الدكتور ياسين الأيوبي إن اللغة الإنكليزية إقتبست هذه الكلمة من اللغة الفرنسية و هو يقول :

” و قد إقتبستها اللغة الإنكليزية عن اللغة الفرنسية ،

فحملت فيما بعد معانى الخيال ، و المغامرة و أول مرة أستعملت

هذه اللفظة في الإنكليزية كانت تدل على نوع من الإغراق في

الخيال و هو ما لم يكن مستحبا في ذلك الوقت“^١

١ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب - ط بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١١٩

أما فيما يتعلق باللغة الفرنسية فقد أستعملت هذه الكلمة في معان مختلفة ، و تغيرت معانيها مع مضي الوقت و لكنها كانت تدور حول معنى واحد و هو الحنين و الحزن ، و يقول الدكتور ياسين الأيوبي :

” و بالنسبة إلى اللغة الفرنسية فقد أستعملت في أكثر من معنى و على فترات تاريخية متباعدة ، لكننا نؤكد على نقطة هامة في هذه الكلمة و هي المعنى الخاص ”الحنين و الحزن“ على شئ من السرد الذي تعتاد عليه هذه الكلمة و هي تستعمل بالمعنى القومي في إحدى لهجات سويسرا التي تطورت عن كلمة ”رومانوس“ (ROMANIUS) التي أستعملت بمعنى الآداب و اللغات القومية المتفرعة عن اللغة اللاتينية“^٢

و إن جان جاك روسو، و هو من كبار الأدباء الفرنسيين الأوائل إستعمل هذه الكلمة ، إنه يصف بهذه الكلمة إحدى بحيرات سويسرا قائلاً : ”هذه البحيرة ذات الوحشة الرومنطيقية“^٣ و إن أحمد أمين قام بتوضيح معنى هذه الكلمة و تفصيلها بهذا الطريق ”من معاني هذه الكلمة : الدهشة و العجب و الجدة و الطرافة و التشويق و هذه المعاني تتضمنها كلمة (ROMANCE)“^٤

٢ . نفس المصدر ص ١٢١

٣ . د. غنيمي هلال - الرومانتيكية - لا توجد سنة و مكان الطبع - ص ٦

٤ . أحمد أمين - النقد الأدبي - ط القاهرة ، لا توجد سنة الطبع ، ص ٣٣٧

و كل ذلك يؤكد على جملة معان و أوصاف إكتسبتها كلمة "رومانسية" و ما زالت الكلمة محافظة على ذلك المعنى بطريقة أو أخرى و من أهم تلك المعانى ، الفروسية و المغامرة و المشاعر النفسية و الخيال و المعنى القومي و غير ذلك مما دخل إليها مع تطور الآداب.

لا شك أن الحركة الرومانسية إنبثقت نتيجة لأحداث و تغيرات إجتماعية و سياسية و فكرية فى فترات مختلفة و من ينابيع متعددة ، لذلك تعريفها بشكل محدد أمر صعب للغاية ، و نشأت هذه الصعوبات بسبب أن هذه الحركة و لدت و ترعرعت أساساً فى داخل الأدب الكلاسيكى و خاصة الرومانسية الفرنسية.

تعريفاتها :

ولدت الحركة الرومانسية فى بيئة جديدة على الوسط الأدب الإجتماعى و السياسى السائدين ذلك الوقت. لأنها إنطلقت فى الأصل من نفوس جائشة بالرفض و التمرد، راغبة فى الجديد ، طامحة إلى تجسيد ماتعانيه ، عرفها كل شخص حسب إدراكه بها ، لذلك توجد لها تعريفات كثيرة وصلت إلى أكثر من مائة و خمسين تعريفاً. يقول الدكتور الأيوبى فى ذلك " من المدهش أن يكون البعض قد وجد للرومنطيقية أكثر من مائة و خمسين تعريفاً جمعها الناقد الألماني شليجل بمائة و خمس و عشرين صفحة دون أن يهتدى إلى تعريف نهائى" ٥

٥ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب ط بيروت ، ١٩٨٤ ص ١٩١

مع أنه توجد هناك إختلافات شديدة في تعريفها أحاول أن أنقل بعض أهم التعريفات
لكبار الأدباء و النقاد الذين لهم قدم راسخ و إمام قوى في الأدب و النقد.
عرفها الناقد الألماني شيلينغ قائلاً : ”إنها الفن الذى يكشف فى صور ، و بواسطة
الحدس الفنى ، الأفكار المطلقة الكامنة فى أساس الواقع و القادر بشكل أعمق من العقل
الإنسانى المحدود على إكتشاف و معرفة العالم المحيط“^٦

و يقول آميل ديشان (DESCHAMPS) (١٧٩١ - ١٨٧١) ” إنها ليست فى
العصور الأدبية إلا الشئ الجديد ، تصوير المجتمع الجديد إنها الروح الشاعرية فى
مقابل الروح النثرية“^٧ و عرفها فيكتور هيجو بأنها ”لبرالية الأدب“^٨ وكذلك عرفها
الشاعر سومية (Soumet) ” بأنها الأدب الذى تغلغل عمقاً فى أسرار قلوبنا من خلال
عبقرية الإنفعالات التى يمتلكها الأدباء“^٩ و كذلك عرفها الناقد الألماني (أ . و . شيلجل)
بأن الرومانطيقية هى وحدة المتناقضات كما يفيد بذلك قوله :

”الدهنية الرومانسية معجبة باستمرار بتقريب المتناقضات : الفن و الطبيعة ، الشعر
و النثر ، الجد و الهزل ، الذكري و الهاجس ، و الأفكار المجردة ، و المشاعر الحارة ، و
الالهى و الأرضى ، و الحياة و الموت ، تتجمع كلها و تنصهر فى بوتقة الأدب

٦ . س . بتروف - الواقعية النقدية - وزارة الثقافة - دمشق عام ١٩٨٣ م ، ص ٦٤

٧ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب ط بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٢ .

٨ . نفس المصدر ص ١٩٣

٩ . نفس المصدر و الصفحة

الرومانطيقى "١٠"

أعتقد أن أحسن التعريفات العامة التي تصح على الأدب الرومانطيقى بصورة عامة ما أوضحه الروائى الرومانطيقى ستندال (١٧٨٣ - ١٨٤٢) و هو يقول "الرومانطيقىة هى فن تقديم الأعمال الأدبية إلى الجمهور الذى يتقبلها بالسرور الممكن إنطلاقاً من تقاليده و معتقداته الحاضرة ... و للحق نقول ، كل الكتاب الكبار كانوا رومانطيقين فى زمانهم و ما يجعل الناس كلاسيكيين هو أنهم بعد مائة سنة بدلاً من تقليد الطبيعة ، يغلغون أعينهم و يقلدون آثار الكتاب الذين سبقوهم" ١١

و عند الدكتور غنيمى هلال :

"إن الأدب الرومانطيقى صورة صادقة للإتجاهات الثورية و الوطنية و قد عبر عن آمال ذلك المجتمع فى أدب فيه الحمية الفنية و الثورة الفكرية و الضيق بالواقع و نشدان السعادة فى عالم الأحزان ، و للرومانسية روح عامة تسيطر على الكاتب الرومانطيقى و آرائه" ١٢

لاشك أن العاطفة الرومانسية توجد فى الأدب منذ القديم و لكنها أول ما ظهرت كحركة أدبية فى بداية القرن التاسع عشر فى الآداب الأوروبية خاصة الفرنسية و الإنجليزية

١٠ . نفس المصدر و الصفحة ٥

١١ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب ط ١٩٨٤ - بيروت - ص ١٩٣

١٢ . د . م . غنيمى هلال - الرومانطيقىة - ص ٨

و الألمانية ، ثم ما لبثت آداب اللغات الأخرى أن تأثرت بها ولاسيما اللغة العربية و يقول الدكتور الطاهر أحمد مكي في هذا الصدد "في مطلع القرن التاسع عشر برزت الرومانسية الخالصة ، مضطربة و ذاتية و ركز الشعراء إهتمامهم في ذواتهم و أرواحهم و وقفوا طويلاً إزاء مشاعرهم المؤلمة و حلموا بما لا يستطيع الواقع أن يقدمه لهم" ١٣

و كذلك يقول أحمد قبح توضيحاً لهذه النقطة "ظهرت الرومانسية منذ القديم عند الشعراء و الكتاب و الرسامين و النحاتين و عند أفلاطون و المسيح و إمرئ القيس و عند كثير من الشعراء الجاهليين و الأمويين". ١٤

و إن تعيين البدايات الحقيقية للحركة الرومانسية و تحديد زمنها بالضبط أيضاً أمر صعب للغاية ، لأن أى شئ جديد فى الأدب لا يحدث فجأة بدون أسباب و مؤشرات تمهد له طريقاً ، فكلما يخوض شخص فى الدراسة لتحديد نقطة إنطلاق لأى حركة أدبية يضطرت فى ذلك ، كما يقول الدكتور ياسين الأيوبي :

"لأننا كلما نتوغل فى التاريخ تضل بنا أقدامنا ، دون أن نصل إلى نقطة إنطلاق إلا أن الرومانسية خليطة من مشاعر فردية و تطلعات مثاليه، إتخذت لها جذوراً و ينباع عند أفلاطون ، و الدراسة فى أصول الرومانسية تستتبع دراسة جذور العاطفة

١٣ . د . الطاهر أحمد مكي - الشعر العربي المعاصر - ط ١٩٨٦ - القاهرة - ص ٤٤

١٤ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب ط ١٩٨٤ ، بيروت ، ص ١٢١

الإنسانية والمثل الإنسانية، و يعتبر أفلاطون أحد المؤسسين لهذا
المذهب ، و عند ما نصل إلى مشارف القرن الثامن عشر نجد
عوامل إجتماعية و سياسية و أدبية كثيرة قد مهدت لظهور هذا
المذهب. "١٥

و تكتب كلمة الرومانسية بطرق مختلفة و لكن يراد بها معنى واحد . يقول أحمد قيش
" الرومانطيقية أو الرومنطيقية أو الرومانتيكية أو الرومنتيكية أو الرومانسية أو المذهب
الإبداعي ، كلها ألفاظ وردت في البحوث الأدبية العربية و كلها لفظة واحدة. "١٦

و كانت الحركة الرومانسية ثورة على التقاليد و العادات القديمة ، و تمرداً على
الأصول البالية ، و حرباً على الكلاسيكية ، و دعوة إلى الحرية و التجديد ، و هي تفضل
العاطفة و الوجدان على العقل ، و هي إتجاه مغاير للإتجاه الكلاسيكي ، يقول الدكتور محمد
أحمد العزب " إذا كانت الكلاسيكية تمثل جانب التقاليد المرعية و الأصول المقدسة فإن
الرومانتيكية تمثل جانب الثورة على التقاليد و الأصول و الخصائص المقدسة و يمكن
أن يقال بأن الرومانتيكية كانت صرخة إحتجاج في وجه الكلاسيكية التي أغرقت في إحتذاء
الأنماط و تقديس الأصول و توثين العقل الرصين ، فسخرت من القواعد و التقاليد و أعطت
الذوق و العاطفة و الإلهام حرية التحليق و الطيران و اتجهت إلى النفس الإنسانية بكل

١٥ . أحمد قيش - تاريخ الشعر العربي الحديث - بيروت ، ص ١٩٠

١٦ . أحمد قيش - تاريخ الشعر العربي الحديث - بيروت ، ص ١٨٩

عواملها الروحية و الشعورية رافضة أن تحبس نفسها فى سجن الواقع المادى و طرحت
القوالب الجاهزة جانباً لترود آفاق الخلق الفنى.“^{١٧}

كانت الرومانسية تؤمن بالإبداع و تحكم العاطفة و الحدس و لاتعنى بالمحاكات و
كانت تفضل العناية بالمضمون على العناية بالشكل و كذلك كانت الرومانسية تعتبر أن
الإنسان هو منبع جميع القيم و أن الفرد جدير بعناية الأدب ، و لذلك إهتم الرومانسيون فى
معظم الأحيان بمشاعر الفرد الخاصة و ترنموا بها و كانوا يتلذذون فى التعبير عن الآلام و
الأحزان التى كان المجتمع الإنسانى يواجهها ، و يتضح ذلك فيما قال الدكتور محمد مندور
”و الرومانتيكية كحركة إبداعية تتم بالعاطفة الجارفة التى تتحلل من قيود العقل الصارم ،
وبأنها أدب ذاتى ينحنى على عوالم الذوات المفردة لينقب عن نزعاتها و أحاسيسها
المكبوتة و بالغيات العاشق على صدر الطبيعة الرحبة فراراً من عالم المدينة الجاهم و
مواضعاته الفظة.... و بإحالة الألم إلى قيمة جمالية يتغناها الشعر ، و يهيم بإستقصائها
الشعراء و بالبرم أو التشاؤم العاطفى المتأجج الذى تولده وضعية الإنسان فى الكون و
تمزقه بين طموحاته الهائلة و إمكاناته المحدودة.“^{١٨}

و إن الحركة الرومانسية نشأت و تطورت فى أوروبا و كانت إنجلترا فى أوروبا أول
مكان أصبحت فيه الرومانسية مألوفة و نالت رواجاً. يقول الدكتور ياسين الأيوبى تأييداً لهذه

١٧ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠٨

١٨ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠٨

الفكرة " من بواعث التأمل و الإعتبار ، أن تكون فرنسا ، قد تلقت عناصر الأدب الرومانسى الأولى من ألمانيا و إنجلترا و هى التى كانت قد صدرت إليها عناصر الأدب الكلاسيكى فى مطلع القرن السابع عشر " ١٩ ومن إنجلترا إنتقلت الكلمة إلى فرنسا و ألمانيا و إلى دول أوروبية أخرى مع أن منابع الرومانسية كانت واحدة ميزاتها تختلف من بلد إلى بلد آخر ، لأن الأوضاع الاجتماعية كانت تختلف فى كل بلد و يقول الدكتور طاهر أحمد مكى " و مع أن البنابيع الأولى للرومانسية واحدة ، إلا أنها أخذت فى كل بلد أوروبى طابعاً متميزاً فالجيل الأولي من الرومانسين الألمان دعا إلى إعادة تحرير الوجود البشرى من الذاتية المفرطة و طريقنا إلى هذه الصيغة الشعرية الخيال الخلاق ، خيال الفنان بخاصة و يقوم العمل الفنى بدور الوسيط ، لأنه يصور رمزياً رؤية الفنان للعالم المثالى ، على حين أن الجيل الثانى رفض رسمياً هذا النهج فهو أقل إنجذاباً إلى الأحلام الصوفية و الإشرافية ، و أكثر إتجاها نحو الشعر و ولوعاً بالريف و جلال الجبال. " ٢٠

و كان الرومانسيون الإنجليز يمتازون بسبب أنهم كانوا ينتمون إلى جماعة أو أخرى. لذلك يوجد فى أعمالهم إنسجام و تناغم ، و يقول طاهر أحمد مكى ^{معالجاً} هذا الموضوع " و تميز الرومانسيون الإنجليز عن الألمان و الفرنسيين بأنهم طوائف فجماعة و رذرورث تؤكد على التناغم بين الإنسان و الطبيعة ، و جماعة و الترسكوت موغلة فى

١٩ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب ط ١٩٨٤ - بيروت - ص ١٩٣ .

٢٠ . د . طاهر أحمد مكى - الشعر العربى المعاصر - ص ٤٥ .

التقاليد تؤكد على الفروسية ثم جماعة شيلي و تضم دعاة العالمية ، الذى يحنون إلى العودة إلى إيطاليا و اليونان.“ ٢١

و كان^ت فرنسا آخر مكان فى أوروبا وصلت إليها الرومانسية لأن علاقة الكلاسيكية بالناس فيها كانت قوية و راسخة ، وكانت الأوضاع السياسية و الإجتماعية مختلفة عما كانت فى الدول الأوروبية الأخرى و لا نبالغ إذا نقول إن الرومانسية كانت أكثر تعلقاً بالثورات السياسية من أى بلد آخر بل يمكن أن نقول إن الرومانسية فى فرنسا ولدت بسبب الثورات السياسية و التقلبات الإجتماعية ” و جاءت الرومانسية إلى فرنسا أخيراً و مرد ذلك رسوخ التقاليد الكلاسيكية الجديدة و تدخل الأحداث السياسية و بخاصة الثورة الكبرى عام ١٧٨٩م ، و لا يوجد مكان إرتبطت فيه الحركة الرومانسية بالصراع السياسى و الدينى كما إرتبطت فى فرنسا ، و ما زال الفرنسيون يختلفون بشدة حول تقويم نتائج الثورة بدقة.“ ٢٢

إن الآلام و الأحزان من أكبر العوامل و الدوافع للعاطفة الرومانسية ، كلما تشدد الأحزان تشدد قوة الرومانسية ، لأن الحزن عنصر أساسى للرومانسية ”إن جذور الرومانسية ترجع إلى ما فى العالم من عذاب و أن الشعب يصبح أكثر رومانسية و خيلاً كلما إزدادت أوضاعه تعاسة و شقاء ، لأنه يفتقد الأمن و الراحة فى بلده ، فيهرب من واقعه إلى الشعور

٢١ . د . طاهر أحمد مكي - الشعر العربى المعاصر - ص ٤٥

٢٢ . د . طاهر أحمد مكي - الشعر العربى المعاصر - ص ٤٥

بالغربة و العزلة ، و يتخذ هذا الشعور أشكالاً ، أوضحها التحول إلى الماضي و الهروب إلى فكرة المجتمع المثالي ، و الحكايات الجغرافية ، و الخيال و الغموض و الطبيعة و الطفولة و الأحلام و الجنون و كلها متخفية للشعور بالغربة. ” ٢٣

و إن الرومانسيين عبروا عن عواطف الحب و أدخلوا في الشعر نغمة جديدة و هي نغمة العذاب الحلو و الألم اللذيذ و الكآبة الوادعة ، فيصف الرومانسي عذاب نفسه و آلام قلبه و كآبة روحه لإنفصاله عن المحبوبة ، و ينشد الرومانسي أشجى أنغامه عند ما تتعانق فكرة الموت و فكرة الحب في نفسه.

و يكون للأديب الرومانسي ذوق مرهف و عاطفة قوية و يكون الرومانسي حساساً للغاية ، يتأثر بشئ عادي ، و يستعمل اللغة البسيطة و الألفاظ المألوفة و يكشف عن جمال الألفاظ التي إبتدلتها الإستعمال اليومي و يتدع طرقاً جديدة و لغة جديدة للتعبير عن مشاعرهم ، لأن التطورات الجديدة و الإختراعات الحديثة لم تكن تستوعبها اللغة القديمة ، و يقول أحمد قيش ” و الرومانتيكي حساس يتأثر بأدنى المؤثرات قوة ، و يفعل لأقل الإنفعالات شدة و بين الرومانتيكي و المجتمع صراع دائم هو صراع التأثير ، و الفن الرومانتيكي فن جديد ذو أدوات تعبيرية جديدة إبتدعه في العصر الحديث نخبة ممتازة من الأدباء و الفنانين لاستيعاب الحالات الوجدانية التي ما عادت القوالب القديمة تستوعبها بعد التطورات التي طرأت على المجتمع من صناعة و علم و مدن كبرى.

و خلاصة القول إن الرومانسية أصبحت مذهباً أدبياً بعد قيام الثورة الفرنسية عام

١٧٨٩م ، بسبب تلك الظروف و الأوضاع التي نتجت من الثورة "إن الرومانسية التي مهدت لها الطريق، آلام الشعب الفرنسي و شكواه من النظم الإجتماعية التي كانت سائدة قبل الثورة الكبرى قد أصبحت مذهباً أدبياً عاماً بسبب الحالة النفسية التي تبحت بعد قيام الثورة الفرنسية و ظهور نابليون ، ثم إنهياره ، و خيبة الآمال التي صاحبت هذا الإنهيار في نفوس الشبيبة الناهضة الطامحة ، فكان مذهب الشكوى و مرض العصر و التغنى بالأطلال و الإطمئنان إلى سكون الطبيعة و التعبير عن المشاعر الخاصة و التوغل في الإحساس إلى التصوف ، و كل هذه المشاعر و لذتها ظروف الحياة".^{٢٤}

و هكذا نرى أن الحركة الرومانسية التي إنبثقت بكل قوتها قضت على الكلاسيكية و هدمت تلك الأسس و المعايير التي كانت تقوم عليها الكلاسيكية و نفخت روحاً جديداً في الحياة الأدبية في العصر الحديث و منحت الأدب إتجاهاً جديداً كان المجتمع يحتاج إليه ، " و هكذا إنقضت الرومانتيكية على الكلاسيكية فساخت الأساس الفلسفى الذى تقوم عليه ، و أعادت للقيم الفنية شبابها الذى تحقق به نوعاً من الإلهام و الخلق فى التعبير عن عالم الذات الانسانية يرتبط فى حركته بإبداع قيم جديدة ليست جاهزة و لا مفروضة و إنما هى تابعة من صميم العمل الفنى و مستلهمة من قوانينه الخاصة و تقاليد المستحدثة".^{٢٥}

٢٤ . الدكتور محمد مندور - فى الأدب و النقد - ص ١٣١

٢٥ . الدكتور محمد أحمد العرب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط ١٩٨٠ ، ص ٣١١

الفصل الثانى

الأسباب و العوامل التى دفعت إلى ظهور الحركة الرومانسية

فى الحقيقة لا تحدث أية حركة جديدة فى أدب أو فى أى شئ آخر بدون أسباب و مقدمات، كذلك يوجد هناك كثير من الأسباب و الدوافع التى عملت فى نشأة الرومانسية و تطورها، و كان أكبر العوامل فى حدوث الحركة الرومانسية، الثورة الفرنسية، و هى التى سببت لكثير من التغيرات فى التيارات الأدبية و الإجتماعية و السياسية، أدت إلى إنشاء بيئة مختلفة " لا شك أن الثورة الفرنسية التى وقعت عام ١٧٨٩م أحد العوامل الكبرى التى كانت باعثا و نتيجة فى آن و واحد للفكر الرومانسى المتحررو و المتمرد على أوضاع كثيرة من بينها الإقطاع السياسى و الدينى و الإجتماعى المتمثل بسيطرة النبلاء و رجال الدين على مقاليد المجتمع و نزواته فكانت ردة الفعل على ذلك كله قوية و عاصفة بمقدار ما تشبع العصر بالأفكار التحررية و اغتذت نفوس الأجيال الطالعة طعم الحياة الجديدة."^{٢٦}

و قد ساعد على تأليف هذا الأدب الجديد و تكامل أبعاده عدم قدرة المخزون الكلاسيكى على المواصلة فى التعبير عن المشاعر الوجدانية و كذلك عجزه عن مسابرة

العصر بعد التطورات السياسية و الإجتماعية التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية ، وكانت الحركات الأدبية دائرة في كل من ألمانيا و إنكلترا، وكل هذه التطورات التي طرأت على الحياة ساهمت في إبتداع أدب جديد له هويته و قواعده و أصوله و إن لم يتهيأ له التكامل و الإستقرار و إستلهاهم ينابيع واحدة و محددة ، فإنها خضعت و ارتكزت بشكل أو آخر على أسس مشتركة و نهلت من أصول عامة.

و إن الأدباء في مرحلة ما قبل الرومانسية حاولوا أن يشقوا لأنفسهم طرقاً يؤكدون فيها على تطلعاتهم الجديدة و التعبير عن ذواتهم ضمن التيار الأدبي الكلاسيكي العام. و من مميزات هذه المرحلة البدائية الميول الغامضة ذات الإتجاه العاطفي و الإستقرار الذي تطور إلى نوع من تأكيد النزعة العاطفية التي ترجمت إلى أعمال أدبية تميزت بذوق أدبي جديد ، لكنه لم يخرج عن الإطار الأدبي المتبع ، ذلك لأن البيئة الجديدة التي أشاعها أدباء هذه المرحلة هي بيئة شعورية عاطفية أكثر منها تعبيرية.

و يوجد عدد كبير من الرواد الذين ساهموا في تطوير الحركة الرومانسية مساهمة كبيرة و في مقدمة هؤلاء الرواد الرومانسيين الأوروبيين جان جاك روسو(١٧١٢ - ١٧٧٨) الذي أسهم إسهاماً كبيراً في تطوير العاطفة الرومانسية و نشر الوعي الإجتماعي ، و قد أثر تأثيراً كبيراً في عصره و أوجد لغة نابضة بالحياة و البساطة و الصدق و العفوية و له كتب كثيرة تمثل العاطفة الرومانسية من أهمها "الإعترات" و "أميل" و "أحلام سائح منفرد" و "هيلويز الجديدة" و تعتبر "هيلويز الجديدة" عملاً أدبياً هاماً في نشأة الرومانسية و تحديد هويتها المذهبية و يقول د . ياسين الأيوبي لقد أيقظت "هيلويز

الجديدة“ نفوس جيلها على أسلوب جديد و منابع وحى جديد و بعثت فى الحياة الأدبية نمطا من الكلام لم يعرف طريقاً إلى النور إلا مع روسو.“ ٢٧

و ليس المراد من ذلك أن روسو كان وحيداً فى هذا المجال بل يوجد هناك كثير من الأدباء و الكتاب و الشعراء فى كل منطقة من مناطق العالم و خاصة فى الدول الأوروبية ، الذين ساهموا فى نشأة الحركة الرومانسية مساهمة ملموسة يقول الدكتور عبد الرحمن عثمان :

” و هذا لا يعنى أن روسو وحده الذى قام بذلك بل شاركه فيه معاصراه ديدرو(١٧١٣ - ١٧٨٤) و فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) الذى و إن ظل على تأثير و تقدير للأدب الكلاسيكى ولاسيما المسرحى فقد دعا إلى التمرد على سلطة رجال الدين كما دعا إلى الحرية و المساواة و الاعتداد بالطبقة الوسطى ، و قاد بقراه إلى السعادة الحقيقية التى تتاح لهم لو أنهم رجعوا إلى الفطرة و بنوا مستقبل حياتهم بأنفسهم كما يفعل الرجال الاقوياء الأحرار.“ ٢٨

و كذلك الأدباء و الشعراء الألمان قاموا بدور ملموس فى مجال الرومانسية ، و تركوا آثاراً قيمة فى المسرحيات الشعرية و القصائد العاطفية منهم فريدريك شيللر (١٧٥٩ - ١٨٠٥) و بورجرBurger (١٧٤٧ - ١٧٩٤) و لفانج جوته Goethe

٢٧ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ، ص ١٢٤

٢٨ . عبد الرحمن عثمان معالم النقد الأدبى - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ ص ١٩٠

(١٧٤٩ - ١٨٣٢) ” من الأدباء الألمان الذين مهدوا لظهور الرومانطيقية الشاعر ولفانج جوته Goethe (١٧٤٩ - ١٨٣٢) في روايته الشهيرة ”فرتر Werther“ أو آلام الفتى فرتر. “٢٩

و تعتبر هذه القصة نادرة في تمثيل العاطفية الرومانسية و هي قصة تصور حياة شاب خيالي النزعة عاطفي الأهواء يخيب في حبه فتتهى حياته نهاية مليئة بالآلام و الأحزان.
و إن روسو طبع الرومانسية بطابعه الخاص و إنه يعتبر جد الرومانسية حتى قال فيه الناقد الفرنسي سانت بوف (Sainte Beuve) ” إنه أول من أدخل الأخضر إلى الأدب الفرنسي لشدة تعلقه بالطبيعة. “٣٠

لقد أثر روسو على الجيل الذي أتى بعده تأثيراً كبيراً فترى أثره في كتابات و أعمال الأدباء و الكتاب الذين أتوا بعده و قام بتوجيه الأدباء الرومانسيين الفرنسيين في عصره يقول الدكتور ياسين الأيوبي ” و من تأثيرات روسو على الأدباء الفرنسيين تلك الروايات العاطفية الشهيرة التي ظهرت بعد روسو كرواية (بول فرجينى) لبرناردن دوسان بير ، و قصة (الراهبه) لديدرو ، و روايتى (أتالا) و (رينيه) لشاتوبريان و هي بمعظمها تصور صراع العاطفة الصادقة الملتهبة مع القدر من جهة و تقاليد المجتمع من جهة ثانية. “٣١

٢٩ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب - بيروت ، ص ١٢٦

٣٠ . جوستاف لانسون - تاريخ الأدب الفرنسي - ١٤٩/٢ ، مأخوذ من كتاب مذاهب الأدب لدكتور

ياسين الأيوبي

٣١ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب - بيروت ، ط ١٩٨٤ ، ص ١٢٩

و سر تأثيره على الأدباء الآخرين في الأدب الرومانسي هو أفكاره و آرائه التربوية و الإجتماعية المتحررة التي تمردت على تقاليد المجتمع و عاداته و لاسيما فكرته المشهورة التي تؤكد على طبيعة الإنسان الخيرة و لكن المجتمع هو الذي يفسده.

و كذلك لعبت مدام دوستايل (١٧٦٦ - ١٨١٧) الشاعرة الفرنسية دوراً بارزاً في تطوير الذوق الرومانسي و قدمت للرومانسيين المنطلقات الموضوعية التي بنوا عليها أدبهم ، و إن كتابيها (عن الأدب) و (عن ألمانيا) يعتبران المدخل المباشر للأدب الرومانسي الفرنسي ، و ظهرت مدام دوستايل عند ما كانت فرنسا تجتاز بوضع متأزم إجتاح النفوس و لاسيما الفنانة المرهفة التي إستبد باصحابها السفر و الهجرة إلى خارج فرنسا ، و كان الأدباء و الشعراء يعانون من الفقر و الفراغ و الكآبة و الوحدة و يخلدون إلى ذواتهم و يعبرون عواطفهم المكلومة و يصورون الخواطر المليئة بالأحزان و العبرات فتج من ذلك أدب رومانسي هائل.

و كذلك أسهم شاتوبريان (١٧٦٨ - ١٨٤٨) إسهاماً كبيراً في توطيد الأدب الرومانسي ، و تبوأ مرتبة رفيعة فنية لا مثيل له ، و أحيا في الأدب روح الطبيعة و أطلق سراحها من عقال الوثنية ، يقول الدكتور ياسين الأيوبي : ” لقد حقق شاتوبريان لأدباء الرومانسية الفرنسية من بعده نموذجاً أدبياً ، تداخلت فيه الطبيعة و المشاعر الذاتية ، من حزن و مناجاة و إنطوائية و تأمل.“^{٣٢}

٣٢ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب - بيروت ، ط ١٩٨٤ ، ص ١٤١

و الآن يجدر بنا التوقف قليلا عند لامرتين الذى قام بدور مهم فى خلق أدب رومانسى و بعث فى الأدب روحاً جديدة ، و قد سما فى ذلك إلى تلك الدورة التى يستحيل الوصول إليها و له أعمال كثيرة تمثل العواطف الرومانسية تمثلاً رائعاً من أهمها (تأملات) و هى نموذج شعري مثل الإتجاه الرومانسى و جسده فى أروع صورة.

و بعد ذلك برزت شخصية فذة فى فرنسا لها تأثير كبير على الأدب الرومانسى و هى شخصية فيكتور هيجو ، و هو لم يكن فقط الشاعر الرومانسى الأكبر فى فرنسا بل كان أيضاً قلبها الكبير و عالمها المترامى الأطراف و له نتاجات أدبية هائلة متنوعة من قصائد و قصص و مسرحيات شعرية و نثرية كلها تؤكد هوية المذهب الرومانسى و تؤطد دعائمه و من أهم أعماله.

(التأملات) و (كرومويل) و (أحدب نوتردام) و (كاوراق الخريف) و (لأغاني الأصيل) و مسرحية (هوتانى) و غير ذلك من القصائد و الدواوين الأخرى.

و كانت (التأملات) أشهر ما كتب فيكتور هيجو و يقول الدكتور ياسين الأيوبى فى أهمية التأملات "إنها فى الحقيقة كل الانطباعات و كل الذكريات و الحقائق و الأطياف الغامضة الضاحكة و المكتسبة التى يمكن أن يحتويها ضمير معتادة و مستذكرة شعاعاً إلى شعاع و زفرة إثر زفرة." ٣٣

و غير هؤلاء الأدباء و الكتاب و الشعراء الذين ذكرناهم يوجد هناك آخرون ساهموا

٣٣ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - بيروت ، ص ١٤٩ 28P1 9: 283 و 3, 28

TH-9124 ٢١



مساهمة كبيرة و قاموا بتوجيه هذا المذهب الجديد و تطويره إلى ذروة الفن السماء ، لا يسمح المكان ذكر كل واحد منهم على حدة لذلك إكتفيت بما ذكرت .

تلك هي بعض الأسباب المهمة التي دفعت إلى ظهور الحركة الرومانسية في أوروبا و عرضنا بعض العناوين البارزة لهذه الأسباب و تجنبنا عن التفاصيل ، مع أنه توجد هناك عوامل أخرى لم تكن أقل تأثيراً و أهمية مما ذكرته و هذا بسبب أن المقال لا يسمح بذلك .

موضوعات الرومانسية

إن الرومانسية تعالج مواضيع متعددة ولا تقف عند موضوع واحد بل تشمل المواضيع الانسانية التي ينفذ إليها الأديب بإحدى ملكاته الشعورية والتأملية، أما إذا أردنا الحصر والدقة فإن الرومنطيقية لاتحسن معالجة أى موضوع إلا إذا كان منصهراً بوجودان الأديب، فاعلاً فيه ومنفعلاً، لذلك فإن معظم الموضوعات الرومانطيقية التي تطالعنا لاتخرج عن العناوين التالية.

١. الطبيعة

٢. الحب والألم

٣. الذات الفردية

٤. الموت

٥. التأمل والشروود وأحلام اليقظة

ولا يمكن أن أتحدث عن كل موضوع بالتفصيل لأن بعضها يستوجب تفصيلاً والبعض الآخر متداخل بغيره. لذلك أتحدث عن بعض أهم الموضوعات.

١. الطبيعة :

هى من أهم الموضوعات التى تحدث عنها الرومانسيون، وتوشحت بها نفوسهم

ورسحت بأحلى قطرات الحب، فى أفيائها ومرابعها لجأ الشعراء والأدباء إلى الطبيعه لأنها
الملاذ الأكبر لمعاناتهم فى حياتهم الخاصة والعامة.

وإن الرومانسيين هم الذين عرفوا أسرارها وقيمها ومتعها فشرروها فى كل مكان
طالبين فيها العزاء تارة وخلود النفس تارة أخرى.

لقد دعا روسو إلى العودة إلى الطبيعة وكان يعتقد أن الإنسان يولد نقيا طاهرا من كل
الشرور والمفاسد. والمجتمع الإنسانى هو الذى يفسده ويعوده على الرذائل والخطايا ومن
أجل ذلك دعا روسو الإنسان إلى الإقامة فى أحضان الطبيعة والتربى فى تعاليمها حتى بلوغه
مرحلة النضج وكذلك يدعو شاتوبريان إلى تخليص الطبيعة من الآلهة المتعددة، و تصفيتها
من كل أوراق العبودية والمعابد. ينقل الدكتور غنيمى هلال عبارة من رواية (رينيه)
لشاتوبريان لإثبات أهمية الطبيعة عند الرومانسيين.

”ماساعدكم أيها المتوحشون ! آه لو أستطيع أن أتمتع بالسلام الذى لايفارقكم أبداً
و بينما أجوب الأقاليم الكثيرة فى قليل من الجدوى، تطلون أنتم جالسين تحت أشجار
السنديان، تدعون الأيام تجرى دون أن تحصوها حياتكم كحياة الطفل مترددة بين الألعاب
والنوم“ ٣٤

وكذلك نرى فيكتور هيجو يتحدث إلى الطبيعة ويناجى الخالق مناجاة
العابدالمستكين الضارع فهو يقول :

”.....الآن و قد رق إحساسى بهذه المناظر الإلهية : من السهول و الغابات
والصخور و الأودية ، والنهر الفضى ، أرى صغرى أمام عجانبك، و يثوب عقلى أمام رحيب
ملكوتك ، آلودبك إلهى، يامن إياه أعبد ، حاملاً إليك فى خشوع بقايا قلب ملئى بعظمتك قد
حطمته. وأجثو أمامك مؤمنا يا ذا العظمة بأنك الحق أزلأ و أبدأ و أومن أنه من الخير، وأؤ من
أنه من العدل أن قلبى قد دمی مادام الله قد أراد.“ ٣٥

و لا نكاد نقرأ قصيدة لأى شاعر رومانسى إلا وللطبيعة فيها النصيب الأوفر

ولعل ما كتبه لامرتين عن الطبيعة أجمل ما قيل، و يكاد لا يدانيه قول آخر.

يقول : ”إن الطبيعة أكبر قساوسة الله ، و أمهر مصوريه ، و أقدر شعرائه، و أبرع مغنيه
، و إنك لتجد فى عش العصفور، تتناغى فيه أفراخه تحت رفرق الهيكل الدارس و فى أنفاس
الرياح، تهب من البحر حاملة إلى أديرة الجبل المقفرة حقوق الشرع و أنين الأمواج و غناء
الصيادين، و فى الزهور ينتشر أرجها فى الفضاء و ينتشر ورقها على القبور، و فى صدى أقدام
الزائرين تقع على مضاجع الموتى من هذا الدير. تجد فى أولئك كله من التقى و الروعة
والتأثير، ما كان فى هذا الدير منه وهو فى إبان عهده و عنفوان مجده“ ٣٦

ومهما نتحدث عن طبيعة الرومانسين، و نحاول التمثيل على أدبها لديهم لن نصل إلى

حد، لأنها لو تحددت فى الإطار الجغرافى، إستعصت على التحدد فى الإطار النفسى.

٣٥ . نفس المرجع ص ١٧٩

٣٦ . لامرتين و- رفائيل- ترجمة أحمد حسن زيات - ط ١٩٦٨ ، ص ٦٤

الحب :

الحب كان من أهم المواضيع للرومانسيين ومن يتابع نتاج الأدباء الرومانسيين يجد أن الحب عندهم أقوى العناصر الذاتية والمشاعر العاطفية على الإطلاق، لدرجة وصل فيها حدود العبادة والقداسة، لقد فهم الرومانسيون الحب ، على أنه شعورى سماوى أخوى يعتمد على صفاء الروح و طهر المشاعر. يتخذ تارة حالة من الشرود وأحيانا أخرى حالة من الوصال اللاواعى، وقد إتخذ لدى البعض نوعا من أنواع العبادة الخالصة تطورت فيما بعد إلى حالة صوفية خالصة، وإن هذه الحالة الصوفية من حب الرومانسيين قد تجلت فى أدبهم وعواطفهم، يقول لامرتين فى حديثه المغمم إلى (جوليا) :

”فلو أن السماء كانت صحيفة، وأرادنى الله على أن أرقم فوقها حبي، لما وسعت هذه الصحيفة ، كل ما أردده فى نفسى ما أريد أن أقوله ، لقد كنت أفرغ من نممة الصحائف الاربع وكأنى لم أقل شيئا. والحق أنى لم أقل شيئا فإن الإحاطة باللانهاية والتعبير عنها، محال وباطل“ ٣٧

والحب عند الرومانسيين عظيم إلى حد أنه لا يكتفى فيه بالكلام و لا بأية وسيلة من وسائل التعبير المعروفة ، ويعبر لامرتين عن مثل هذه العاطفة للحب.

”نخاطب بالنظرات، فلا تكفى ، وتلمس الكلمات فلا نجد . لقد إنعقدت ألسنتنا من فرط السرور، و اضطربت أعصابنا من شدة التأثير، فبقينا صامتين: لا لغة إلا هذا الصمت،

ولاحركة إلا هذا السكون، فاما سجودى فملؤه العبادة وأما سجودها فملؤه السعادة:
وكانما تنطق هذه الهيئة قائلة، إنهما يتساهمان الحب بالقلب، ويتساقيان الهوى بالنظر“^{٣٨}
والتعبير عن الإحساس بالألم والغربة والحزن يعد من عناصر الحب ، يقول الدكتور
ياسين الأيوبي ”ومن روادف الحب، أو مستلزماته ، أو مقوماته ، الإحساس بالألم والغربة
والحزن، وكان التعبير عن الفرح وجها آخر للحزن في الحقيقية ، فهما وجهان للحب
يكملان بعضهما البعض، ويتكاملان معا بالحب ومن ثم المزج التلقائي بين وجدان العاشق
الرومانسى وأحاسيسه الداكنة لشعوره الدفين بأن حبه لن يدوم وأن هناءه الذى هو فيه لا
يعد و أن يكون سحابة صيف عابرة ، سرعان ماتعقبها سحب أيلول الرمادية، ثم الرياح
الشديدة وإنخفاف كل بوارق الصحو و السعادة الموسمية المرتحلة“^{٣٩} الفرد دوموسية
يعبر نفس العاطفة فى هذه الأسطر:

”أحب ، وأستطيع أن أصرخ دون مبالاة.

أحب ولن يتحدث شئ عن حبي.

أحب، وأنا وحدى الذى أدرى.

وحبيب إلى سرى، وحبيب إلى عذابي.

وقد عقدت العهد أن أحب جبا خاليا من الأمل.

٣٨ . نفس المرجع ص ١٨٢

٣٩ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب - ص ١٨٠

ولكنه ليس خاليا من السعادة إنى أراك وهذا حبي

أحب وأريد العذاب : أحب واهب عبقريتي جزاء قبلة.

أحب وأريد أن أحس على خدى

فيض نبع من الدموع لا يمكن أن يغيض“ ٤٠

هكذا نرى هذا النمط من الحب يوجد عند معظم الشعراء و الأدباء الرومانسيين و هم يعبرون عن عاطفة الحب الملتهبة التي تهيج عاصفة هو جاء فى النفوس و تصطبغ قلوبهم ، وكذلك التعبير عن الألم و العذاب أمر لازم للرومانسيين المحبين و هذا الألم يتطور عندهم إلى حدود الموت رغبة و إشتهاءً لذيداً لا تدانيه لذة أخرى ، يقول الدكتور ياسين الأيوبي ”الموت عند الرومانطيقى ، حالة مشتهاة فى لحظات تشتد فيها الأزمة النفسية ما بين المرء من جهة ، و طموحه و أحلامه من جهة أخرى أى يعود الرومنطيقى من نشوة أحلامه الواعية و يحس بأن مرارة العيش سوف تعود سيرتها الأولى عندئذ يشتهي الموت.“ ٤١

فى الواقع الحب قلب الأدب الرومنطيقى لذلك أسهبت ذكره و ضمنته أموراً أخرى

غير الحب كالألم و العذاب و الموت و غير ذلك من ملامح الرومانسية و منابعها .

٤٠ . د. محمد غنيمى حلال - الرومانتيكية - ص ١٨٢

٤١ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب - ص ١٨٢

الفصل الثالث

الرومانسية في الأدب العربي الحديث

في الحقيقة أن الجديد في الفن أو في الأدب لا يحدث فجأة ، لابد لذلك من مؤثرات و جذور و مقدمات تسبب حدوث شيء جديد أو حركة جديدة ، و كذلك القديم لا يثمر الجديد بنفسه بل في معظم الأحيان يمنعه من ظهوره ، و لكن روح العصر و تياراته و حركة التأثير و التأثير الإنسانية في الفكرة و الثقافة و الفنون و مقتضيات العصر تفعل فعلها في مساعدة هذا الجديد النأى المتطلع نحو الولادة.

إن روح العصر لها تأثير كبير في حياة الإنسان يقول إليزابيث درو " إنها تؤثر فينا لا شعورياً مهما نتشدد باستقلالنا أو نحاول جاهدين أن نحقق ذلك الإستقلال ، لأن لون الثقافة و مبلغ و عينا يدفعاننا دائماً إلى إتخاذ بعض المقاييس الفنية و طرح بعضها." ٤٢

كما أن المقاييس و القيم و روح العصر تتغير في كل عصر و بلاد لسبب أو آخر ، بدأت تتغير الأوضاع الإجتماعية و السياسية و الأدبية في الوطن العربي. و تغيرت القيم و

٤٢ . إليزابيث درو - الشعر كيف نفهمه و نتذوقه ، ترجمة محمد إبراهيم الشويش ، طبعه عناني الجديدة -

المثل خاصة بعد حملة نابليون و بعثات محمد علي و دوران المطبعة و حركة الترجمة و
التأثر الحضارى فى مصر و لبنان و بلاد الشام منذ أواخر القرن التاسع عشر، فدخلت
المذاهب الأدبية الغربية فى أدبنا العربى فى مطلع القرن العشرين بسبب الإختلاط
الإجتماعى و الثقافى فى نطاق واسع ، و أصبحت المدارس الأدبية السائدة فى الآداب
الأجنبية معروفة فى العالم العربى و إن النزعة الكلاسيكية فى الأدب العربى إستحوذت
عقول الناس فترة من الزمن بدأت تنفس نفسها الأخير و لكنها إستمرت فترة أخرى بفعل
الدماء الجديدة التى قام بتغذيتها شوقى فى مصر و الجواهرى فى العراق و بشارة الخورى فى
لبنان و شفيق جبرى و بدوى الجبل فى سورية. هذه الطاقات الفنية القوية مدت فى عمر
الكلاسيكية و منحنتها نضارة جديدة و حياة إضافية لكنها لم تكن قادرة على إخفاء ملامح
الروح الرومانسى التى بدأت تظهر منذ مطلع القرن الجديد نتيجة لإتصال الوطن العربى
بالثقافة الأوروبية و آدابها و للترجمات العديدة عن آدابها و إطلاع الشعراء و الأدباء على
لغة أجنبية أعانتهم على تذوق تلك الآداب و التأثر بها فكانت من نتيجة هذا التبادل الثقافى
ثروة قيمة ظهرت فى شكل الأدب الرومانسى العربى.

يقول الدكتور ياسين الأيوبى :

” كان للاستشراق الأوروبى و لهجرة المشاركة العرب و خاصة اللبنانيين و
السوريين إلى الأمريكيتين و إنتشار الآداب الغربية فى بلاد المشرق العربى و الإطلاع عليها
.... كان لكل ذلك آثاره و عوامله فى خلق تيارات أدبية جديدة أو إتجاهات مختلفة غيرت
كثيرا من صورة الأدب العربى و أحدثت فيه هزات عنيفة أيقظته من سبات طويل و تقليد

متأصل وأوصلته بآداب الغرب ومدارسه وإبداعاته.“ ٤٣

في مثل هذه البيئة ظهرت الرومانسية في الأدب العربي وغلب هذا الاتجاه على معظم الأدباء والكتاب والشعراء في كل بلد من البلاد العربية وأثر أساليبهم تأثيراً أبلغ وقد أدى جبران خليل جبران و خليل مطران و إيليا أبو ماضي و آخرون دوراً رائداً في تطوير هذا التيار الجديد في الأدب ”نستطيع أن نميز اتجاهات كانت له الغلبة في العقدين الرابع والخامس من هذا القرن وهو الإتجاه الرومانسي الذي ساد بين كثرة المجددين في مصر وغيرها من البلدان العربية ، فكان له في كل بلد أشياع وأنصار مثل يوسف بشير التيجاني في السودان، و أبي ريشة في سوريا و إلياس أبي شبكة في لبنان ، و إبراهيم طوقان في فلسطين و إبراهيم ناجي في مصر“ ٤٤

فكان ظهور هذه الحركة ثورة على الأساليب القديمة والتقاليد البالية، وكان وراء هذه الثورة أسباب سياسية و إقتصادية و إجتماعية و ثقافية كذلك ، كان الإستعمار الإنكليزي قد فرض على حياة الناس القيود السدود التي أفلقت الناس و أغلقت عليهم أبواب المعيشة والحرية . لذلك اضطروا إلى الإنطواء على أنفسهم. فعبروا عن عواطفهم و مشاعرهم و خلجات نفوسهم تعبيراً مملوءاً بعناصر الرومانسية من الثورة والتمرد والحب والعنف والطبيعة التي تعد من أهم الصفات الرومانسية، يقول شوقي ^{بشيرة}
”ولابد أن نلاحظ الأسباب السياسية التي دفعت الشعراء في العالم العربي بين

٤٣ . الدكتور ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب - ، بيروت ص ٢٧٨

٤٤ . شوقي ضيف - فصول في الشعر و نقده - ط دار المعارف ، مصر ، ص ٢٩٦

الحريين الماضيتين إلى هذا الإتجاه فقد كان الإستعمار يضغط على الحريات ضغطاً شديداً،
ناصباً حرباً عنيفة على الأدباء الاحرار فانطوى كثير من الشعراء على أنفسهم و تغنوا الألم
وعكسوه على كل ما حولهم من الطبيعة و كل ما اختلج في قلوبهم من مشاعر الحب“^{٤٥}

وكذلك يقول على عباس علوان”وهكذا كان الجيل الذى ولد وعاش فى ظل
الإحتلال متجها إلى الغرب يقبل عليه إقبالاً شديداً حائراً بين ظروفه الموضوعية و بين ضغط
الحضارة الأوروبية التى داهمته فى قيمه و تقاليده و موروثه مداهمة عنيفة . ولقد أثار أدباء
هذا الجيل المتجه إلى أوربا جملة معارك عنيفة ضد القوى التقليدية و المحافظة“^{٤٦}

لقد قام إبراهيم ناجى و على محمود طه بدورهما فى إثراء الأدب الرومانسى
بإنتاجاتهما القيمة، ف شعر ناجى مملوء بأحاسيسه الرومانسية و أحزانه المثيره للعواطف و
أشواقه الهائمة ، و شعره نفس متطلعة إلى الحب مع أنه لم ينعم به إذ يصيبها دائماً
الإخفاق فيه و على نحو ما يخفق فى الحب يخفق فى علاقاته الإجتماعية التى جعلته يصرخ
فى أشعاره صرخات الهزيمة ، هزيمة تلقاه فى كل مكان وفى كل شئ، فى الحب و فى غير
الحب وهو بذلك شاعر رومانسى خالص، إجتمعت أسباب من حياته و قراءاته العميقة فى
الآداب العربية لكى يكتمل فى شعره بحيث يصبح خير من يمثله فى مصر بكل سماته من
يأس و تشاؤم و شقاء و عناء.

٤٥ . شوقى ضيف . فصول فى الشعر و نقده - دارالمعارف مصر ص

٤٦ . على عباس علوان - تطور الشعر العربى الحديث فى العراق - ط ١٩٧٥ ، العراق - ص ٣٦٨

وكذلك توجد النزعة الرومانسية بقوة شديدة في قصائد علي محمود طه و لكنه لم يصل في ذلك إلى ما وصله إليه ناجي لأن حدة الألم عند طه كانت ضعيفة بل كان طه يغرق آلامه في عالمي الطبيعة والملذات الحسية وكانت له موهبة موسيقية نادرة إستغلها أجمل إستغلال في أشعاره و في أحلامه الرومانسية.

و السبب الأخر لظهور الرومانسية في الأدب العربي الحديث هو إستنفاد الطريقة الكلاسيكية لتمثيل النتاج الأدبي الحديث لأن متطلبات العصر الجديدة و إختراعاته الحديثة قد غيرت أسلوب الأدب والحياة فاختار الأدباء و الكتاب والشعراء الرومانسية التي كان العصر في أمس حاجة إليها.

”إن الرومانسية قد وجدت طريقها مفتوحاً إلى قلوب الأدباء العرب، لأن الذاتية أو الفردية التي إنطلقت منها الرومانسية كانت من أبرز سمات أدبنا و شعرنا بوجه خاص، وعندما تذوق الأدباء طعم الحرية التعبيرية وهم خارج أوطانهم، وكانوا من قبل في كبت وحرمان وأغلال، أطلقوا أعنة التعبير، فغنوا أوطانهم و بلسموا جراحاتهم ، و ثاروا على القيود والتقاليد، وأسرفوا في مناجياتهم الوجدانية وهم في وحدتهم أومع الطبيعة، وأعادوا بشكل أو بآخر صورة الأدب الرومانسي الخالص الذي ساد البلدان الأوروبية طيلة قرن“ ٤٧

وإن التطور الإجتماعي والسياسي والفكري لعب دوراً مهماً في تطوير الرومانسية

لأنه وجد في هذا المذهب الإطار الأدبي السليم لترجمته و إحتوائه، وأحرزت الرومانسية نجاحاً باهراً من الإستجابة الطبيعية لذلك التطور.

وكان جبران خليل جبران رائد الحركة الرومانسية في الأدب العربي وريادته لا تقل أهمية في شئ عن كبار أدباء الرومانسية الأوروبية، و قد ذكر من مقومات رومانسيته الدكتور إحسان عباس في كتابه "فن الشعر" على الوجه التالي.

"لقد مجدت هذه المدرسة العودة إلى الطبيعة وألهمت النغمة و امتلأت بالحنين الطاغى و بالكآبة والألم، وبالنفور من حياة المدينة، و بالثورة على التقاليد و الشرائع، و قدست شريعة الحب و اتخذت القلب إماماً هادياً و غمرتها الرموز الصوفية و ثارت على الشكل و اهتمت بالمضمون و حطمت القالب اللغوى الصلب و لجأت إلى التحليل" ٤٨

وخليل مطران أحد من الرواد الرومانسيين البارزين في الأدب العربي، إذ كانت ثقافته بالأداب العربية واسعة فتغلغت في نفسه النزعة الرومانسية وطفح شعره بالحزن والألم وعكسها على ماحوله من الطبيعة إنعكاساً يمثّل بالشجن، كان مطران علماً شامخاً في تجديد شعرنا الغنائى بما بث فيه من وحدة موضوعية و من شذى وجداني ينفذ نفوذاً إلى أعماق قارئه كان شعره مملوءاً بالعواطف الرومانسية والحرية التعبيرية.

وكان لمدرسة الديوان ، وجماعة أبولو وأدب المهجر دور كبير في إنشاء و تطوير التيار الرومانسي في الأدب العربي الحديث ، ومعظم الشعراء والكتاب والأدباء الذين ينتمون إلى إحدى هذه المدارس الأدبية قاموا بمساهمة كبيرة مرموقة في تطورها ولا نبالغ إذا نقول لولم توجد هذه المدارس لما توجد الحركة الرومانسية في الأدب العربي. ولكنني لم أذكر عن هذه المدارس الأدبية المهمة في هذا الفصل لأنني أقمت باباً آخر على حدة ، إنشاء الله سأقوم فيه ببحث عنها بكل التفاصيل.

لاتخلو أى منطقة من مناطق الدول العربية من تأثير هذا التيار الجديد باختلاف الدرجات والتفاصيل على قدر الثقافة. فترى أن المملكة السعودية العربية أيضاً قد تأثرت بهذا التيار الرومانسي تأثيراً كبيراً و أنتجت كمية كبيرة من الأدب الرومانسي، وتوجد في أدبهم جميع الصفات الرومانسية التي كانت توجد في الأدب العربي في المناطق العربية الأخرى من النزعة الفردية والذاتية والخلو بالنفس، والشعور بالوحدة، والحزن والتماس، إناس تلك الوحدة عن طريق الشعر، و موسيقاه الحالمة الآتية من مصدر خفي.

ولقد كان ظهور هذا التيار في قلب الجزيرة نتيجة لعوامل تشبه العوامل التي أدت إلى ظهوره في العرب ، يتضح ذلك فيما يقول الدكتور بكرى شيخ أمين "حياة القلق و الإضطراب التي تسود العالم العربي عامة، وشعور الأدباء بتخلخل المجتمع وعجزهم عن تحقيق مأربهم و آمالهم و إصطدام المطامع العظيمة في نفوسهم بالعقبات والسدود. وقد دفعهم هذا إلى أن يلتمسوا لهم مهرباً يفرون إليه. من واقعهم المرير، فلاذوا بالطبيعة يشونها شكاتهم، ويتجاوبون وإياها تجاوباً روحياً حزيناً كما حلقوا في سماء الخيال وهاموا بأودية

الرؤى والأحلام والأوهام. وسحبوا رواحهم فيما وراء الطبيعة“ ٤٩

وكان السبب الآخر هو المزاج الإنطوائى الذى فرض على بعض الأدباء والشعراء أن يعيشوا فى أبراجهم العاجية، وينطوا داخل نفوسهم، وكذلك إن لمدرسة الديوان وجماعة أبولو وجماعة المهجريين أثرا كبيرا فى دفع الكثيرين إلى هذا التيار الجديد، وكذلك الإعجاب بالأدب الرومانسى الغربى كان سبباً أساسياً من أسباب تطور هذه الحركة الرومانسية فى المملكة.

أذكر هنا بعض أسماء أشهر الشعراء السعوديين.

وهم محمد حسن عواد (١٩٠٢م) و محمد حسن فقى (١٩١٢م) و عبدالسلام هاشم رشيد (١٩٣٠م) و عبدالله الفيصل (١٩٣٠) محمد العامر الرميح (١٩٢٩م) وغيرهم من الشعراء الكثيرين الذين توجد فى أعمالهم الأدبية موجة رومانسية، و تأثيرها على طابعهم.

٤٩ . الدكتور بكرى شيخ أمين - الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية، بيروت - ط ١٩٨٦، ص

﴿الباب الثانى﴾

مميزات الحركة الرومانسية العربية

الفصل الاول

الرومانسية في أدب مدرسة الديوان

لاشك أن مدرسة الديوان لعبت دوراً مهماً في تطوير الحركة الرومانسية في الأدب العربي الحديث و هي مدرسة تتألف من شكري والعقاد والمازني، و تسمى هذه المدرسة مدرسة الديوان نسبة إلى الكتاب النقدي الذي أصدره العقاد والمازني عام ١٩٢١، فعكف هؤلاء الأدباء الثلاثة الكبار على دراسة الأدب الغربي وخاصة الإنجليزى و يمدون من طموحاتهم إلى أبعد من حدود الأدب الغربي ليلتقوا بجميع ألوان الإبداع الإنسانى فى الشرق والغرب لأن الأدب العربى السائد فى تلك المرحلة لم تشبع نهمهم العقلى و الوجدانى و لم يرض نوازعهم فالتفتوا إلى الآداب الغربية و خاصة على الإنجليزى و تأثروا بحركاتها و تياراتها الجديدة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت فتمردوا على الحياة الأدبية الراكدة و أنكروا تلك التقاليد القديمة والأساليب البالية التى لم تكن صالحة أن تسير مع تطورات العصر الحديث و حركاته الجديدة. فيقول الدكتور على عباس علوان. "إن جماعة الديوان شغلت نفسها بصراعات ومعارك عنيفة أثمرت كثيراً من الكلام و الدعاوى

النظرية وشيئا من المفاهيم الجديدة”^{٥٠}

و إن أصحاب مدرسة الديوان كتبوا المقالات وقرضوا القصائد فى الموضوعات المختلفة ويقول الدكتور محمد أحمد العزب ”وقد بدأ نتاج مدرسة الديوان بإخراج شكرى للجزء الأول من ديوانه بعنوان ضوء الفجر سنة ١٩٠٩“^{٥١} وبعد ذلك تواترت دواوينه ودواوين العقاد والمازنى حتى وصلت إلى سبعة دواوين ومعظم هذه الدواوين تشتمل على قصائد فيها من التجاوب النفسى والعواطف الصادقة ، و التأملات العميقة و الإنطباعات الصوفية وأناشيد الحب والجمال ما جعلهم يدخلون فى ميدان الرومانسية ، فى الواقع كانت هذه المدرسة ثورة على الشعر القديم والحديث شكلا و مضمونا و لغة و يقول محمد أحمد العزب .

” وقد عملت مدرسة الديوان منذ نشوئها على التمرد فى

وجه القصيدة العربية التقليدية شكلا و مضمونا و بناء و لغة.“^{٥٢}

وفى سنة ١٩٢١م ، أخرج العقاد والمازنى كتابهما الديوان الذى هاجما فيه على شوقى و حافظ و المنفلوطى هجوماً عنيفاً ، و جسدا فيه خلاصة فلسفتهم الشعرية الثائرة على الشعر القديم و الحديث و اكتفى كل من المازنى و شكرى بهذه المشاركة الشعرية

٥٠ . الدكتور على عباس علوان ص ٣٧٣

٥١ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ص ١٢٩

٥٢ . نفس المصدر ، ص ١٣٠

و انصرفا إلى إهتمامات أخرى ولكن العقاد واصل طريقه وظل يخرج الديوان بعد الديوان حتى توفي عام ١٩٦٤م.

ففي مجال (الشكل) ثاروا على نظام القصيدة الطويلة ذات النسق الموحد وكذلك ثاروا على نظام القافية الموحدة فنوعوا فيها على فترات متقاربة تتردد بين البيتين والأبيات القليلة.

و في مجال المضمون تمردوا على محدودية الفضاء و دعوا إلى تحطيم السدود و تمردوا على محدودية الطموح والإنحصار في أمور تافهة ، و دعوا إلى أن يحلق الشاعر فوق اليوم الذي يعيشه و إلى التغنى بالطبيعة و دعوا إلى الشعور بجوهر الأشياء ونقل هذا الشعور من نفس إلى نفس و تمردوا على بقاء الشعر قيمة لسانية وليس قيمة إنسانية.

و في مجال البناء دعا رواد مدرسة الديوان إلى رفض التفكك و نادوا بالوحدة العضوية و دعوا أن تكون التجربة الشعرية مكوناً من مكونات البناء العام للقصيدة المعاصرة.

و في مجال اللغة تمرد رواد مدرسة الديوان على لغة الشعر أو القاموس الشعري ، و دعوا إلى تحرير اللغة الشعرية من عبودية القوالب الجاهزة و إلى التعبير عن المضامين الجديدة بلغة قادرة على التحليل والتركيب.

وهذه الصفات الرومانسية توجد منذ البداية في قصائد المازني والعقاد وشكري ، و

يقول الدكتور ياسين الأيوبي :

” أخرج المازني ديوانه وهو أيضاً كان ثورة على القديم و دعوة إلى التجديد وتمرداً

على القافية و تابعهما فى إخراج ديوانه ، و قد نحا العقاد فى ديوانه نحواً فكرياً فيه من التعت مما أفقده الطابع المريح لمن يقرأه و يحب أن يتجاوب معه ، لقد سيطر على فنه الشعرى أسلوب منطقى عقلاىى“ ٥٣

ولكن النقاد و الأدباء الكبار يشكون فى أصالة مدرسة الديوان و هم يقولون أن أصحابها يقلدون الأدباء الشعراء الغربيين يقول الدكتور ياسين الأيوبى :

”وتبين الدراسات أن عدداً كبيراً من قصائد المازنى و العقاد قد أقتس و نقل عن عدد آخر من قصائد رومانسية إنكليزية و أمريكية“ ٥٤

ولكن العقاد يرفض هذا النقل و التقليد ويرى أنه لاشك فى ذلك أن مدرسة الديوان قامت بدراسة الأدب الرومانسى الإنجليزى و الأمريكى و مفاهيمه فى نظرية الفن فقرؤا أعمال كارليل و جون سيتوارت ميل، و بايرون، و وردزروث و غيرهم و غير هؤلاء من الأدباء و الشعراء الآخريين و لكنهم لم يقلدوهم فى إبداعاتهم بل تأثروا بأعمالهم و ظهر هذا التأثير تلقائياً بغير تعمد ، كما يقول العقاد :

”سرى من روح هؤلاء الشئ الكثير إلى الشعراء المصريين الذين نشأوا بعد شوقى و زملائه ، و لكنه سريان التشابه فى المزاج ، و إتجاه العصر، و لم يكن تشابه التقليد و الفناء أو سريان جاء من فهم رسالة الشعر و الأدب لا من تشابه فيما عدا ذلك من التفصيل. ٥٥

٥٣ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب ، ط بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩٧

٥٤ . نفس المصدر ص ٢٨٨

٥٥ . العقاد - شعراء مصر و بيئاتهم فى الجيل الماضى ، ط القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ٩٢ - ١٩١

ولكن الدراسات البسيطة تلغى هذا الدعوى وتثبت خلاف ما قاله العقاد لأن رفيقه في العمل شكري كشف مجموعة من سرقات المازني و نقله التام من القصائد الأوروبية الرومانسية و غير الرومانسية و قد اعترف بذلك المازني بعد فترة ، يقول الدكتور على عباس علوان :

”إن هذه الجماعة كانت مندفعة بالإعجاب الشديد نحو هذه النماذج و تقليدها ، ولكنها وقعت في حالة تناقض حادة ، ذلك أن هذه الجماعة لم تكن تمتلك الأصالة العلية ، و الإقتدار الشعري الهائل لإثبات شخصيتها المميزة في إحداث الهزة العنيفة في نظرية الشعر و العمل الفني“^{٥٦}

و إن أصحاب مدرسة الديوان لو لم يكونوا مبدعين و لكنهم على الأقل حاولوا نظريا التمرد على التقاليد القديمة و هاجموا الشعر القديم وأصحابه مهاجمة عنيفة حتى قيل إن كل ما بقي في أذهان الناس لجماعة الديوان هذه الحملات العنيفة و يقول الدكتور على عباس علوان :

”و لا شك أن هذه الجماعة خاضت معارك أقطاب الكلاسية والكلاسية الجديدة ، إذ هاجم المازني حافظ إبراهيم عام ١٩١٤م على صفحات جريدة عكاظ كما هاجم العقاد شوقي والرافعي وهاجم المازني بعد ذلك كلام المنفلوطي ، و زميله عبدالرحمن“^{٥٧}

٥٦ . الدكتور على عباس علوان - تطور الشعر العربي الحديث في العراق - ط ١٩٧٥م ، ص ٣٧٥

٥٧ . نفس المصدر ص ٣٧٦

يوجد تناقض و إنقسام عند شعراء مدرسة الديوان ما بين آرائها النظرية وتطبيقاتها العملية لأن الصفات والظواهر التي إنتقدوا من أجلها المحافظين تتجلى تلك الصفات في أعمالهم و إبتكاراتهم ، إلا أن شكري كان أكثرهم إتزاناً في الرأي و أقلهم دعوى يقول الدكتور على عباس علوان :

” و لعل أفضل الجماعة عبدالرحمن شكري ، من حيث قلة دعاواه في التجديد، أو إثارة غبار المعارك ، و من حيث إتزانه في آرائه بل لعله أعمقهم حساً، و أكثرهم تمثلاً للنفس الرومانسية المرهفة الحساسة ، فضلاً عن ثقافته العالية التي جعلته دون جدال رأس جماعة الديوان وأستاذها المبتعد عن الشهرة إلا أنه لا يخرج عن الإطار العام الذي تلمسناه شعر زميليه من حيث التطبيق العملي. ٥٨

هكذا نرى أن لمدرسة الديوان مساهمة كبيرة في مجال تطوير الحركة الرومانسية العربية و إنها مثلت في ذلك مصر أحسن تمثيل و سببت لثروة أدبية رومانسية كبيرة مع ما فيها من قلة الأصالة ، بالنظر إلى أدب المهجر.

الفصل الثاني

الرومانسية في أدب جماعة أبولو

لا تكاد توجد حركة أو جماعة أدبية ظهرت في العصر الحديث، لم تتأثر بالحركة الرومانسية، فكل من يقوم بدراسة أدب جماعة أبولو يجد أنها كانت متأثرة بها تأثراً كبيراً، وظهرت آثاره في أعمال أصحابها الأدبية، ففي مطلع العقد الثالث من هذا القرن، تغير وجه الحياة سياسياً وأدبياً وإجتماعياً وفكرياً، واتسع التعليم وانتشرت الثقافة، فكان طبيعياً أن ينهض الشعر وأن يكثر الشعراء ويكثر نتاج قرائحهم. ففي تلك البيئة المتغيرة ولدت "جماعة أبولو" في ستمبر عام ١٩٣٢م، بفضل جهود رائدها أحمد زكي أبوشادي المتواصلة، وأسند رياستها إلى شوقي ولكنه توفي في أكتوبر من نفس السنة فتسلم رياستها خليل مطران، وأصدر مجلة باسمها ظلت تصدر حتى عام ١٩٣٥م، وأوضح أبوشادي في العدد الأول للمجلة فكرة الجماعة وغايتها وهي على هذا النحو:

١. السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً
 ٢. مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر
 ٣. ترقية مستوى الشعراء أدبياً وإجتماعياً ومادياً والدفاع عن كرامتهم
- أما إسمها فهو مستعار من الميثونوجيا الإغريقية التي تزعم أن أبولو رب الشعر و الموسيقى. فهي جماعة كل الشعراء، فلم يكن لها هدف شعري ولا مذهب أدبي معين.

وقد استطاعت هذه المجلة أن تستقطب جهود جيل من الشعراء من مختلف جوانب العالم العربي، فكانت تحتضن أقلام شعراء مصر، وسوريا، والعراق، ولبنان والسودان و تونس وغيرها من البلاد العربية، و هم الشعراء الذين صدحوا بقصيدهم بعد ثورة عام ١٩١٩م، من مثل إبراهيم ناجي وعلي محمود طه، وأخذت تشجع ناشئة الشعراء بنشر قصائدهم في مجلتها مثل قصائد حسن الصيرفي ومصطفى السحرتي ومحمود أبي الوفا وعبد اللطيف النشار والهمشري ومحمود حسن إسماعيل ومختار الوكيل وصالح جودت وعبد الحميد الديب ومحمد عبدالغنى حسن.

في الواقع إن شعراء هذه الدورة أتيج لهم مالم يتح لمن قبلهم، فقد إزداد إتصالهم بالآداب الغربية وبالإضافة إلى ذلك كان لديهم نموذجان أدبيان نموذج أصحاب النهضة و نموذج الجيل الجديد، و جاء هم نموذج ثالث من الشعراء المهجريين، و هو نموذج يستلهم المنزع الرومانسي الغربي لأن هؤلاء الشعراء المهجريين يكثر من ذكر الطبيعة و ذكر وطنهم الذي فقدوه من تأمل واسع في الحياة و شرورها و آلامها العميقة.

وبالإضافة إلى ذلك أحدثت لبنان في الأعوام الثلاثين الأخيرة نموذجين من الشعر أولهما المنزع الرومانسي لأنه الشعراء في لبنان كانوا يستمدون من الشعراء المهجريين والغربيين الرومانسيين على نحو ما نجد عند إلياس أبي شبكة و إنفعالاته أمام الحب و الطبيعة، و النموذج الثاني هو المذهب الرمزي و هو مذهب يقوم على الغموض، فالأفكار فيه لا تؤدي أداءً واضحاً، بل يكتنفها غير قليل من الإبهام مع العناية بالكلمات الشعرية و هم يستوحون في ذلك شعراء فرنسا و أدبائها، لأنهم هم الذين أوجدوا هذا المذهب في الأدب.

وهذه النماذج إضافة إلى الإطلاع الواسع على الآداب الغربية قد أحدثت ضرباً من الإختلاط في نفوس نفر من شعرائنا، فإذا هو تتوزعه الإتجاهات والنزعات المختلفة ، و شعره مجموعة من نماذج لا حصر لها ويقول على عباس علوان ” وإذا كانت جماعة أبولو لا تمثل أغراضاً محدودة في الشعر أو إتجاهاً فنياً متميزاً أو لونا معيناً من ألوان الأدب فان السمة العامة التي شاعت بين نتاج أعضائها كانت هي المسحة الرومانسية ولاسيما في قصائد إبراهيم ناجي وعلى محمود طه و حسن كامل الصيرفي إضافة إلى مطران و أبي شادى“^{٥٩} و كان أبوشادى خير من يمثل ذلك الإتجاه ، وكان شعره بدواوينه الكثيرة دائرة معارف شعرية ، تارة يسبح في الحب والطبيعة و السماء و تارة ينزل إلى الأسواق والموالد ، وتارة يعتلى جبال الأولمب و يستوجي الميثولوجيا و الأساطير الإغريقية و تارة يتحدث في تاريخنا و آثارنا القديمة إذا به يتحدث عن الباعة في الأسواق، فهو لا يستقر في موضوع ، ولا في إتجاه بل يجري في كل الأنحاء يقول الدكتور على عباس علوان ”ولعل أبا شادى خير من يمثل إتجاهات الجمعية و تناقضاتها، فلقد كان طبيعياً بكتولوجياً، و صحفياً متعدد الجوانب يصدر خمس مجلات في وقت واحد ، لا يمت أية صحيفة منها للأخرى بصلة. الأولى (أبولو) للشعر ، و الثانية (الدجاج) جمعية الدواجن المصرية ، و الثالثة (مملكة النحل) لسان النحالين المصريين ، والرابعة (الإمام) التي أصدرها لرفع رؤية الأدب الشعبي في مصر، والخامسة (الصناعات الرزاعية).“^{٦٠}

٥٩ . على عباس علوان ص ٣٨٢

٦٠ . الدكتور على عباس علوان - تطور الشعر العربي الحديث في العراق - ط ١٩٧٥ ، ص ٣٨٢

و من هناك يمكن لنا أن نقول إن شخصيته كانت مشتتة لا ضابط لها و لا نظام مع أنه كان مثقفاً ثقافة واسعة بالأدب الغربية و لكن النزعة الرومانسية تتغلب عليه ، و يقول عيسى يوسف بلاطه :

” فقد نجد تلك اللمسات الغنائية الشفافية و قد نجد تلك العواطف والمشاعر الذاتية ، و قد نجد ذلك الروح الرومانسي العام في الصور، في علاقات الشاعر بالطبيعة“^{٦١}
يقول أبو شادي في قصيدته (في الطريق الحزين) :

يا طريقي الحزين ما عالم الناس بمثلي ، فليس مثلي بأنس
أنا بعض من الوجود الذي يأبى وجوداً على فساد ورجس
من أغاني الضياء من طهره السا حر من خمرة ليالي وأنسى
من نجوم السماء والأرض أحلا مى و من روحها المشعشع كأسى
من معان حفية نشوتى الكبرى ومن مقبلى البعيد وأمس

لو نقرأ هذه الأبيات نجد ذلك الروح الرومانسي الذي يوجد في قصائد كبار الرومانسيين الفرنسيين وكذلك تلك النبرة المعبرة عن أحزان الشاعر و أعماقه مرتبطة بالوجود ، في صور و لغة بسيطة تحمل شحنات العاطفة و فيض المشاعر التي تتميز بها الحركة الرومانسية.

مع أن جماعة أبولو كانت متوزعة المنازع والإتجاهات و لكن النزعة الرومانسية كانت صفة سائدة عند معظم شعراءها ، يقول الدكتور شوقي ضيف ”فإنه يلاحظ أن موجة

٦١ . عيسى يوسف بلاطه - الرومانطيقية و معالمها في الشعر العربي الحديث - ص ١٢٢

حادثة من النزعة الرومانسية غلبت على شعرائنا حينئذ و لم يكن مبعثها إطلاعهم فقط على نماذج الجيل الجديد و شعراء المهاجر الأمريكي الشمالى و شعراء لبنان ، بل كان مبعثها الحقيقى أن مصر كانت تجتاز فى تلك الفترة التى ظهرت فيها " جماعة أبولو " حلقة سوداء من حلقاتها التاريخية فى العصر الحديث " ٦٢

وكان السبب فى ذلك أن الشعراء لم يكونوا يتمتعون بحرياتهم التعبيرية ، وكان الملك فؤاد و وزرائه مع الانجليز البغيض يحكمون على الشعب المصرى حكما إستبداديا لا يرمى فيه عهد و لا ذمة ، كتمت فيه الأفواه و وضعت الأغلال على العقول و القلوب و كان من الطبيعى فى مثل هذه البيئة أن ينطوى الشعراء على أنفسهم و أن يجتروا الألم و الحزن و يعكسوهما .

على ما حولهم من الطبيعة و يتناجون بها فاذا هم (رومانسيون، وهى رومانسية تتضح أصداءها فى أشعارهم و فى عنوانات دوا و ينهم، فلأبى شادى (الشعلة) و (فوق العباب) و لإبراهيم ناجى (من وراء الغمام) و لعللى محمود طه (الملاح التائه) و لحسن الصيرفى (الألحان الضائعة) و لمحمود أبى الوفا (الأنفاس المحترقة) و بغير ذلك من الشعراء الآخرين .

و قد ذكرت من قبل أن النزعة الرومانسية كانت توجد عند معظم الشعراء المنتسبين إلى جماعة أبولو، لايفسح المجال لى أن أذكر أمثلة لكل واحد منهم أحاول أن أذكر عن

٦٢ . الدكتور شوقى ضيف - دراسات فى الشعر العربى المعاصر - ط دار المعارف، القاهرة - ص ٧٣

رومانسية شاعرين كبيرين علاوة على ابي شادي الذين لهما مكانة مرموقة في مجال الرومانسية وهما ابراهيم ناجي وعلي محمود طه. فان ابراهيم ناجي كان مرتبطا بالمنزوع الرومانسي الغربي كما كان الجديد مرتبطا به، فشعره شعر وجداني رومانسي يصور نفسه وانفعالاته وهي نفس ظائمة دائمة إلى الحب، بل هي نفس ملتاعة دائماً لأن قلبه كان يتدفق في حبها، وكان يصيح صيحات حادة للهزيمة وهي هزيمة تلقاه في كل جانب، في الحب و الصداقة و العلاقة الإجتماعية، فلو ننظر إلى أعماله الأدبية نجد أن هذه الصفات الرومانسية تتجلى فيها واضحا جلياً.

وربما كان ابراهيم ناجي الشاعر الوحيد بين شعراء هذه الدورة التي إلتزم موقفاً بعينه، وقد تكون معرفته الوثيقة بأداب الرومانسيين هي التي هيأت له ذلك، فقد كان يعجب إعجاباً شديداً بهذا الإتجاه وظل ينميه، ومن أجل ذلك تتضح شخصيته في شعره، بجميع ملامحها العاطفية وقسماتها الوجدانية، و شخصية شاعر مجروح يئن دائماً ويشكو إفلات سعادته منه بصورة محزونة.

أما علي محمود طه فقد اشتهر في المجال الرومانسي شهرة واسعة بسبب معرفته بالأداب الغربية وتياراتها الجديدة خاصة التيار الرومانسي ولكنه لم يكن يتعمقها، إذ كان حظه من معرفة اللغات الأجنبية محدوداً و علي الرغم من ذلك إنه ترجم بعض القصائد الرومانسية الغربية و تأثر بهذا المنزوع تأثراً كبيراً. ترك ثروة كبيرة في الأدب الرومانسي.

الفصل الثالث

الرومانسية في أدب المهجر

يعتبر أدب المهجر أساس الحركة الرومانسية العربية و منبعها و قد أثر على الأدباء و الكتاب في المناطق العربية الأخرى ، و أدب المهجر العربي أدب نشأ في أمريكا الشمالية و الجنوبية بفضل عدد كبير من الأدباء الكتاب و الشعراء اللبنانيين و السوريين الذين هاجروا إليها في أواخر القرن التاسع عشر لأسباب سياسية و إقتصادية و إجتماعية و دينية إلى حد كبير و أقاموا فيها إقامة دائمة ، يقول الدكتور محمد أحمد العزب :

”منذ أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين نزع طائفة من الشباب اللبنانيين و السوريين تحت وطأة الإحساس بالكبت السياسي و الحاجة المادية ، إلى المهجر الأمريكي حيث إستقرت جماعة منهم في المهجر الشمالي بينما إستقرت الجماعة الأخرى في المهجر الجنوبي.“^{٦٣}

و يعبر الدكتور شوقي ضيف نفس الشيء بقوله :

٦٣ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥

” وقد خرجوا من ديارهم إلى أمريكا يتغنون معيشة كريمة ،
قدر عليهم أخلاف الرزق، و تنجيهم من ظلم الترك و سياتهم و
تتيح لهم حظوظاً من الحرية المسلوبة و ما زالوا يهاجرون من
شاطئ بلادهم إلى شواطئ أمريكا و في كل مكان يحلون فيه
يجتمعون و يناظرون فيما بينهم فهم أبناء لسان واحد و ديار واحدة
و هم يشعرون في أعماقهم بأنهم أحفاد العرب الأمجاد.“ ٦٤

و إن المهجرين وجدوا في وطنهم الجديد بيئة مختلفة و تجمعاً مختلفاً و تمتعوا
بحرية تامة و تنفسوا هواء الحرية الحقيقية ، و البلاد كانت متموجة بالحركات و النشاطات
و كذلك كانت مملوءة بكل وسائل الراحة الممتعة و لكنهم لم ينسوا وطنهم الأصلي
الذي هاجروا منه، و ثقافته، و أدبه بل حمل معهم ذكراه، يقول الدكتور محمد أحمد العزب :
” و حمل هؤلاء الشباب منذ البداية مل رحائبهم كل ذكريات أوطانهم العربية و لم
يتخلوا للحظة واحدة عن الحلم بالعودة إلى تراب الأرض بكل ما يحمل هذا التراب من عطر
التاريخ. و عمق الجذور و أصالة الإنتماء.“ ٦٥

و الحنين إلى الوطن و الشوق إلى العودة إليه قد مهدا الطريق إلى إنشاء أدب قيم و
إيجاد بيئة عربية في بلاد أجنبية بدأوا يشعرون كأنهم يعيشون في وطنهم العربي في مثل هذه
المنطقة النائية.

٦٤ . دراسات في الشعر العربي المعاصر - الدكتور شوقي ضيف - ط القاهرة ، ص ٢٤٥

٦٥ . نفس المصدر ، و الصفحة

التي

لأنهم أصدروا المجلات و الصحف ينشرون فيها مقالاتهم و قصائدهم و أنشأوا الندوات و الجامعات العلمية التي يجتمعون في أوقات فراغهم و يتحدثون عن أمور وطنهم الأدبية و السياسية و اجتماعية و يعبرون عن ردود فعلهم بطرق مختلفة و هذه النشاطات و الكفاحات أثمرت بنتاج أدبي قيم لعب دوراً بارزاً في توجيه الأدب العربي إلى التجديد و تخليصه من التقاليد البالية و القيود القديمة و يقول الدكتور محمد أحمد العزب :

”وكان هذا الحلم الملح من وراء إقدامهم على محاولة خلق عالم عربي في المهجر الأمريكي الشمالي منه في الولايات المتحدة الأمريكية و الجنوبي و خاصة في البرازيل . فاصدروا المجلات و الدواوين و أسسوا ”الرابطة القلمية“ في الشمال عام ١٩٢٠ م ، برياسة جبران خليل جبران كما أسسوا ”العصبة الأندلسية“ في الجنوب عام ١٩٣٢ م ، برياسة ميشال معلوف.“ ٦٦

و استطاعوا أن يؤلفوا لأنفسهم أحياء في مدن أمريكا المشهورة طبعوها بطوابع شرقية . ولم يلبثوا أن أصدروا صحفاً عربية هناك تتحدث بلغتهم عن شئونهم و شئون بلادهم الأصلية ؟ أذاعوا أشعاراً و منظومات و أقاصيص ، و بذلك عبروا عن مجالاتهم الفكرية و الوحدانية بلغتهم العربية التي لم ينسوها و لم يقطعوا صلتهم بها بل ظلوا يعتقونها ، كأنها الكتاب المقدس الذي حملوه في حقائبهم .

وكان هؤلاء المهجريون ينشرون أعمالهم الأدبية في جريدة (السائح) و كانت

٦٦ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥

الجريدة تحمل أصواتهم إلى العالم العربي وكان الناس في البلاد العربية ينتظرون للعدد الجديد للجريدة ويشتاقون إليها وإنهم كانوا يصدرون منها عدداً ممتازاً في كل سنة يحمل أروع مآقوله ، فبسبب محاولتهم القيمة الجديدة ظهرت في عام ١٩٢١م (مجموعة الرابطة القلمية) التي يشتمل على قصائد الشعراء الرائعة و مقالاتهم القيمة . و ما زالت تحمل إبداعاتهم حتى عام ١٩٣١م حيث تبدد رجالها واحداً بعد واحد بسبب الموت ، و كذلك "كان المهجريون في جنوب أمريكا يجتمعون في النوادي الحافلة في دارهم و أصبحت (المجلة العصبية الأندلسية) مجال أعمالهم الأدبية و لكن المجلة توقفت عام ١٩٤١م عند ما أصدر رئيس جمهورية البرازيل أمراً بحظر أى نشاط صحفى بغير لغة البلاد ، ثم عادت إلى الظهور عام ١٩٤٧م ، على يد شفيق المعلوف ثم توقفت نهائياً عام ١٩٥٤م . "٦٧

و إن حركة المهجر إنبثقت في أمريكا في الفترة التي ظهرت فيها مدرسة الديوان في مصر و كانت لكلتي المدرستين مساهمة كبيرة في تجديد الأدب العربي و تقصير الشكل و المضمون و اللغة و على الرغم من أن عدد الكتاب و الشعراء في المهجر الشمالى كان قليلاً بالنسبة إلى عددهم في المهجر الجنوبى ، كان أثر المهجر الشمالى في تطوير الحركة الأدبية العربية المعاصرة أعمق من المهجر الجنوبى ، و هذا كما أعتقد بسبب أن المهجر الشمالى وجد أكثر حرية و أحسن بيئة و أفضل جواً بالإضافة إلى تكوين ثقافتهم القوية بالنظر إلى المهجرين الجنوبين ، يقول الدكتور محمد أحمد العزب :

"أطلق (الشماليون) أجنحتهم الشابة في قضاء الحرية الفنية في آفاق الطبيعة و

الكون و الميتافيزيقا. و عادوا أحيانا كثيرة بينما ظل شعراء الجنوب يترددون على
أنساق شوقى و أصحابه من مدرسة المحافظين ثم يعودون إلى ذواتهم فى طرائق التجديد و
الابتداع ، وهكذا ظلوا يتوافدون على الفعل الإبداعي من خلال المحافظة و التجديد و
الإتباع و المغامرة.» ٦٨

٦٨ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٦

خصائص أدب المهجرى

يتميز أدب المهجر بخصائص عديدة و توجد فيه جميع السمات التي تعتبر أهم عناصر الرومانسية و معظم هذه الخصائص و السمات في الأدب المهجرى تتعلق بالشكل و المضمون ، و بدأت تظهر هذه الخصائص و الصفات في الأدب المهجرى منذ الحرب العالمية الأولى ، لأنها كانت من إحدى المحركات التي بعثت الحياة الأدبية و الإجتماعية و المضمون ، و السياسية و العلمية على الأصعدة العالمية و خاصة في الصعيد العربى . و يمكن أن نقول أن الحرب العالمية نقطة إنطلاق للأدب العربى ” و ظهر إتجاهها (المهجرى الشمالى و الجنوبى) الفنى محدداً منذ الحرب العالمية الأولى.“^{٦٩}

خصائص الشكل :

و قد ثار الكتاب و الشعراء المهجريون على الأساليب القديمة شكلاً و مضموناً و لغة سنذكر سمات كل منها على حده ، يقول الدكتور محمد أحمد العزب فى وصف التغيير الذى أحدثه المهجريون فى الشكل ”تمرد شعراء المهجر على قيود القديم فى هيكل

٦٩ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٧

القصيدة و موسيقاها و لغتها و شخصيتها التعبيرية و إن كان تمردهم النظرى فى نتاجهم النقدى قد فاق تمردهم الإبداعى فى نتاجهم الشعرى بما لا يقاس ... بمعنى أن جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمة و أمين الريحانى، قد أحدثوا فى المعركة النقدية زلزالاً عنيفاً بما طالبوا به من تهديم حوائط الشكل هيكل و موسيقى و لغة و تعبيراً و ذهبوا فى ذلك إلى أعماق الشطط. " ٧٠

و إنهم طالبوا بتغيير هيكل القصيدة و تحرروا فى توزيع التفعيلات مع خضوع الهيكل العام لنظام ثابت ، و لجأوا إلى شعر المقطع و المقطوعة و ضمنوا القصيدة أكثر من صوت و احد و كذلك ثاروا على العروض الشعرى ، يقول ميخائيل نعيمة " فلا الأوزان و لا القوافى من ضرورة الشعر ، كما أن المعابد و الطقوس ليست من ضرورة الصلاة و العبادة. " ٧١

فإن ذلك يعد بشكل ما إستجابة لشورتهم الصارمة على تقليدية هذا النظام الذى ألهمه جيل من وراء جيل ، و كذلك إنهم تمردوا على اللغة و جعلوها تابعة للناس ، حيث يقول ميخائيل نعيمة (فالإنسان هو الذى أوجد اللغة و لم توجد اللغة الانسان) ٧٢ و قد صاح جبران صيحته العاتية فى وجه اللغة التقليدية فنزل بهذه الصيحة كثيراً من نواحي

٧٠ . نفس المصدر و الصفحة

٧١ . ميخائيل نعيمة - الغربال - ص ٩٥

٧٢ . ميخائيل نعيمة - الغربال - ص ٧٦ - ٧٧

التقليد و الإتياع فى فهم اللغة و فى طبيعة ما ينبغى أن نسددها من دور توديه أداء معاصرا
ينبض بشف المعاناة و الصدق : (لكم لغتكم ولى لغتى ، لكم منها القواميس و المعجمات و
المطولات . و لى منها ما غربلته الأذن و حفظته الذاكرة من كلام مألوف و مانوس تتداوله
ألسنة الناس فى أفراجهم و أحزانهم ، و لكم لغتكم و لى لغتى . لكم منها الرثاء و المديح و
الفخر و التهنية و لى منها ما يتكبر عن رثاء من مات و هو فى الرحم . و يابى مديح من
يستوجب الإستهزاء و يأنف من تهنية من يستدعى الشفقة و يترفع عن هجو من يستحق
الإعراض عنه و يستكف من الفخر إذ ليس فى الانسان ما يفاخر به سوى إقراره بضعفه
وجعله لكم لغتكم و لى لغتى ، لكم من لغتكم البديع و البيان و المنطق و لى من لغتى
نظرة فى عين المغلوب و دمعة فى جفن المشتاق ، و إبتسامة على ثغر المؤمن لكم
لغتكم و لى لغتى لكم أن تلتقطوا ما يتناثر خرقا من أثواب لغتكم و لى أن أمزق بيدي كل
عتيق بال و أطرح على جانبي الطريق كل ما يعوق مسيرى نحو قمة الجبل ، لكم لغتكم و لى
لغتى ، لكم لغتكم عجوزاً مقعدة و لى لغتى صبية غارقة فى بحر من أحلام شبابها أقول
لكم : إن النظم و النثر عاطفة و فكر مازاد على ذلك فخيوط واهية و أسلاك متقطعة ... لكم
لغتكم و لى لغتى " ٧٣

فى كل جملة من جمل هذه الفقرة لجبران تترشح ثورة على التقاليد و الأشكال
القديمة التى لا تلائم العصر الحديث و مزاجه و تطوراته و على اللغة و أساليبها ، و ثورة على
العوائق القديمة ، و فى نفس الوقت هى دعوة إلى التخلص عن موضوعات الشعر القديمة

بمديحها و هجائها و فخرها و دعوة إلى منح الشاعر قيثارته ليغينا أحلامه و ما يجرى في
خاطره ، و ما يعصف في نفسه .

و يقول الدكتور محمد أحمد العزب (و لعل من أبرز ملامح الشكل في القصيدة
المهجرية نوعية من شعر المطولات ذات الطابع الملحمي : كالمواكب لجبران ، و على
بساط الريح لفوزى المعلوف و الحكاية الأزلية لأبي ماضي ، و الطلاسم له أيضاً ، و الربيع
الأخير للشاعر القروي ، و أحلام الراعي لإلياس فرحات و معلقة الأرز لنعمة
قازان). ٧٤

و قصائد الشعر المهجري تتميز بالوحدة العضوية التي تعتبر إحدى المكونات
الأساسية لقصيدة الشعر المعاصر ، والشعراء المهجريون إستلهموا في ذلك الأدب الغربي
أكثر مما إستلهموا الأدب العربي ، و ألحت مدرسة الديوان إلحاحاً متواصلاً على هذه
الوحدة العضوية ، و يقول الدكتور محمد أحمد العزب إشارة إلى هذه الوحدة العضوية
(هذه هي أهم ملامح التجديد في الشكل عند شعراء المهجر الشمالي و الجنوبي و هي
ملامح تفاوتت في درجة حلولها في الواقع الشعري عند شعراء هذه المدرسة و لكنها حقائق
فنية تشكل عنصراً من أهم عناصر هذه الحركة الشعرية). ٧٥

٧٤ . الدكتور محمد أحمد العزب - عن اللغة و الأدب و النقد - ط القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص

٧٥ . نفس المصدر و ص ٦٤٠

خصائص المضمون :

أما فيما يتعلق بالخصائص فى مضمون الأدب المهجرى فهو يتميز بخصائص و
ظواهر متعددة من أهمها : كما يقول الدكتور محمد أحمد العزب (الحنين إلى الوطن و
الإحساس الدائم بالإغتراب الروحى و المادى ، و النزعة الإنسانية الشاملة و التطلع إلى
عالم مجهول يستطيع الشاعر فيه أن يحقق آماله و مطامه و التغور فى الإحساس بالطبيعة
الصامتة و الصائتة ، و القتال بالشعر عن قضايا الوطن و اللغة و التقاليد و الإقتدار الظاهر على
الوصف و تصوير المرئيات و المحسوسات و الإيغال فى غنائية شفيفة عذبة و التطوح وراء
الحرية إلى مدى شارف تخوم الحرية الدينية .. و تغليب جانب المعنى على جانب اللفظ ،
و التجول فى أبهاء النفس الإنسانية بكل ما فيها من دروب و أدغال و النزوع إلى نوع
من الغموض الفنى يحاذى غموض العالم الذاتى و الموضوعى الغارق فى غموض بلا
حدود.

و ميخائيل نعيمة أيضا ثار فى كتابه "الغربال" على المحافظين و طالب بمقاييس
جديدة للأدب العربى و هاجم على شعراء الصنعة و الزر كشة و الرنين الموسيقى.

و ميخائيل نعيمة الذى يعد من كبار الشعراء و النقاد المهجريين ، قد تمرد على
القيود القديمة و ثار على الشعراء المحافظين و هاجم على التقاليد البالية و دعا إلى الإهتمام
بالمعنى أكثر من الإهتمام باللفظ ، فيلزم للشاعر أن يعبر فى شعره الخوارج النفسية من رجاء
و يأس و فوز و فشل و إيمان و ألم ولذة و غير ذلك من إنفعالات و تأثيرات عاطفية ، و هذه

كلها تعد من خصائص الرومانسية لأن الذاتية و الفردية التي تعد من أبرز الخصائص للرومانسية ، توجد في الشعراء المهجريين بنسبة كبيرة و لأنهم أصروا على هذا الجانب إلحاحاً كبيراً و هم لا يهتمون باللفظ و الوزن بل يعتبرونها ثياباً خارجية على العقل و الروح أو بعبارة أخرى على الفكرة و العاطفة ، و أنقل بعض الأبيات لإيليا أبي ماضي التي تؤيد هذه الفكرة يقول في ديوانه "الجداول"

لست منى إن حسبت الشـ عر أفاظاً و وزناً
خالفت دربك دربي و انقضى ما كان منا
فانطلق عنى لئلا تقضى همأ و حزناً
و اتخذ غيرى رقيقاً و سوى دنيأ مغنى

و كان السبب في تحررهم ، تثقفهم بالآداب الغربية فقد حذق معظمهم أكثر من لغة و اطلعوا على الآداب الغربية و كان موقفهم يشبه موقف الرومانسيين ، فكوا شعرهم من قيود كثيرة في الوزن و الصيغة ، و اتجهوا نحو الطبيعة بحقولها و غاباتها و حياتها الريفية.

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

"و من هنا كان أدباء العصر الإبتداعي فردين بكل ما في الفردية من شارات و سمات ، فهم لا يعنون بالخارج ، إنما يعنون بأنفسهم ، و المجتمع ليس له قيمة إلا بمقدار إحساس الفردية ، فالفرد أولاً ثم الجماعة و ليست قصيدة الشاعر و لا عمل الأديب

الآ تجربة ذاتية خاصة به .” ٧٦

و هذه الصفات التي ذكرناها آنفاً توجد جميعها في أدب المهجر بكل قوة ، و يقول

الدكتور شوقي ضيف إشارة إلى هذه الصفات :

” و نستطيع أن نجد كل ذلك مطبوعاً في شعراء المهاجر
الأمريكي، فأصحابه ثائرون على الأوضاع القديمة في شعرنا ،
ثائرون على ألفاظه و صورته و أوزانه ، و ثائرون على موضوعاته من
مديح و غير مديح ، و هم مشغوفون بالطبيعة ، و هم ذاتيون و
فرديون أخلصوا لمشاعرهم ، و استمعوا لوسوس نفوسهم ، و
صاغوا ذلك كله شعراً عذبا .” ٧٧

و كثير من المهجرين هاجموا على الحياة المدنية و تمردوا على حياة الآلة و دعوا
إلى حياة الغاب و الطبيعة ، حياة القطرة و البساطة ، فلو نرى إلى قصائدهم و خاصة قصائد
المهجرين الشماليين على سبيل المثال قصائد جبران و أصحابه من الرابطة القلمية لنجد
مصدق ما قلنا عن التجديد و التعلق بالطبيعة ، و يمكن لنا أن نقول إنهم كانوا مجددين
بمعنى واسع ، مجددين في أساليبهم و لغتهم و في الموضوعات التي يطرقونها و في الشكل
الخارجي بما أنهم يتوعون أوزان القصيدة الواحدة و قوافيها ...

إن التعبير الفني لا يراود لذاته و إنما يراود بما يحمل من معان و أفكار و المعنى هو كل

٧٦ . الدكتور شوقي ضيف - دراسات في الشعر العربي المعاصر - ط دار المعارف ، القاهرة - ص ٢٤٩

٧٧ . نفس المصدر و الصفحة

شئ في الأدب ، و لازم للشاعر أن يطلق عنان شاعريته المبدعة تعبر عن مكنون نفسه في أبسط الألفاظ و الأساليب ، و بهذه الخصائص المختلفة كان لأدب المهجريين في تاريخ أدبنا المعاصر أفق مستقل لا يرتبط بأدبنا القديم بكثير ، و ذلك بسبب ثقافتهم الواسعة بالآداب الغربية.

و لعل أهم صفات المهجريين الرومانسية هي صفة الحنين إلى وطنهم ، فهم يتحرقون إليه شوقاً ، لأنهم هاجروا في طلب المعيشة و الحياة الكريمة و حققوها أكثر مما كانوا يأملون ، و لكنهم فقدوا قلوبهم وراءهم ، فأخذهم إحساس بالوحشة و الغربة فيرون أنفسهم أسيرها فيشتد تعلقهم به و حنينهم إليه . و هذا الحنين أهم عنصر يطبع شعر المهاجر الأمريكي بطابعه ، و ليس هناك حادث يحدث في بلدهم أو ملمة تلم به إلا و يهتزون بها و يصبحون مع المحبة و اللوعة الشديدة .

يقول أبو الفضل الوليد :

فديتك يا أرض الشام فمك لي ثراء على فقر و شكر بلا خمر

متى أطأ التراب الذي هو عنبر و أملاً من أرواح تلك الربا صوري^{٧٨}

و كذلك يقول نعمة الجاج :

تذكرت أهلي في النوى و بلادها و قد طال شوقي للحمى و بعاديا

تذكرت هاتيك الربوع و أهلها و يا حبذا تلك الربوع الزواها^{٧٩}

٧٨ . ديوانه "أغاريد في عواصف" ص ٧٠

٧٩ . ديوانه ص ١٧٧

و هذا التعلق الشديد بالوطن أتاح لهؤلاء المهاجرين أن يحيوا حياة عربية وسط ما
تقع عليه أعينهم من حياة حديثة و مدنية جديدة و لم يوغل شاعر في هذه النزعة إيغال رشيد
أيوب فقد أكثر من الحنين إلى وطنه و من بديع قوله تحت عنوان "بلادي" :

خلقت و لكن كى أموت بها حباً لذاك ترانى مستهماً بها صياً
و ما أنا ممن إن ترامت به النوى تروعه الدنيا و لو ملكت رعباً
يكثر رشيد في أشعاره من ذكر الغدران و الينابيع الجارية في وطنه (لبنان)

و كذلك إلياس فرحات يصور في شعره ملاعبه الفاتنه بين الطفولة و الشباب وهو
يقول عن "الكسارة" مسقط رأسه.

ترجعنى الذكرى إلى الكسارة إلى مقر الحب و الطهارة
إلى إجتماعى بنات الحارة تلعب طوراً بالحصى و تارة

وهو أيضاً يتحدث عن عبث الصبا و الطفولة و كذلك يوجد في شعره الحنين إلى
وطنه في شوق و لهفة. و نفس النزعات و العواطف توجد في قصائد رشيد أيوب، وله قصيدة
عنوانها "الحنين إلى الصنين" يصور فيها جمال وطنه وهو يحلم به في نومه وهو يقول:

أفقى كفاك منام بدالفجر كم تهجعين
وقامت لتنعى الظلام طيور ألا تسمعين

و كذلك نسيب عريضه تغنى أغنية مملوءة بالحنين إلى وطنه و الشوق إليه و كان
يحلم وطنه و يصور تلك الأحلام في قصائده. وهو يقول في قصيدته عنوانها "أم الحجار

السود"

رفعت لطرفك من مكان

تختال بين حدائق وعراض

أعرفت يا قلبي عروس العاصي

تفيض نفس نسيب عريضة بالتعلق الشديد بالوطن و بالحنين إليه في هذه الأبيات ،
و في معظم الأحيان إنه يرتجف عندما يذكر بلده و حجارتها السود و نهرها، و كان يتمنى أن
يعود إلى تلك الديار و معاهدها التي حل بها توائمه.

و كذلك إيليا أبو ماضي لم يكن أقل تعلقاً و شغفاً بوطنه من نسيب عريضة. كلما كان
يذكره تنساب في نفسه ينابيع القرع بذكره و هو يقول في قصيدة بعنوان (لبنان).

إثنان أعياء الدهر أن يليلهما لبنان والأمل الذي لذويه
نشاقه و الصيف فوق هضابه ونجبه و الثلج في واديه

وهكذا نرى هؤلاء المهاجرين جميعاً فارقوا وطنهم، ولكنه كان فراق الجسم أما
الروح فظلت عالقة به تطوف بمعاهده و ترفرف ببساتينه و ترابه و صخوره. وهذا الحنين
إلى الوطن هو المفتاح الدقيق لفهم شعر المهاجر الأمريكي.

و كذلك الدعوة إلى الطبيعة عنصر أساسي من عناصر الرومانسية، وهي توجد في
أدب المهجرين بقدر وافر لأن الحياة التي إنتقلوا إليها كانت حياة مادية و آلية و
صناعية.

وهذه الحياة كانت تضعف فرد يتهم ، فتمردوا على تلك الحياة ، يعافونها و
يزدرونها، و يحاولون أن يفروا منها إلى حياة الطبيعة و الغاب حيث كانت المعيشة بسيطة و

الجمال ساذجاً.

لونتابع قصيدة جبران (المواكب) نجد كيف هو صور تلك الثنائية التي صاغها
الإنسان لنفسه و ضل الإنسان قدمه في متاهات تلك الثنائية ولم يتجه إلى الطبيعة التي يجد
الإنسان فيها حياة نقية كاملة لا تكون سيادة و لا عبودية، و لا خير و لا شر، و لا حزن و لا
سرور و لا إيمان و لا كفر.

يقول جبران في مطلع مواكبه:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يفنى و إن قبروا
و أكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة و من لم يمش يندثر
ليس في الغابات راع لا و لا فيها القطيع^{٨٠}

ويقول الدكتور شوقي ضيف تعليقا على هذه القصيدة لجبران

”ويظل في هذا اللحن ، فالحياة فيها الرياء والذل والغابات
ليس فيها رياء و لا ذل ، و الحياة فيها الدين و الكفر و ليس في
الغابات دين و لا كفر والحياة فيها العدل و الظلم و ليس في الغابات
عدل و لا عقاب ، و الحياة فيها القوة و الضعف و ليس في الغابات

٨٠ . جبران خليل جبران - المواكب - ص ٧٨

قوى ولا ضعيف“ ٨١

كل بيت من أبيات هذه القصيدة ثورة على حياة المدينة ، و دعوة إلى حب الطبيعة
و هي دعوة واسعة يدعو فيها جبران مواكب الإنسانية جميعاً إلى عالم الغاب. ومثل هذه
الدعوة إلى الطبيعة توجد عند الشعراء الغربيين الرومانسيين ، و لا تزال توجد إلى عصرنا،
و لهذا يظن بعض الناس أن جبران تأثر في ذلك بالرومانسيين الغربيين فلو نتبع قصيدة
جبران نجد أن الغاب الذي ذكره جبران مراراً هو (لبنان) وطنه ، ذلك الفردوس الذي
فقدته.

و لم يكن جبران وحيداً في هذا المجال الذي تغنى مثل هذه الأغنية بل عند معظم
الشعراء والأدباء المهجريين يوجد هذا النوع من العاطفة الرومانسية. فيقول نسيب عريضة:

يا نفس رحماك أين تمضي فما أمامي سوى قبور
فدسامك العقل سوم عالج مالا تطيقين من أمور
فلترك العقل حيث يعنى فليس للعقل من شعور ٨٢

ففي هذه الأبيات يتجلى أن نسيب عريضة الدنيا كلها قبور لذلك هو يميل إلى الغاب
الذي ليست فيه قبور و لا أنام و لا أتاس و لا زحام ، فلو نتصفح قصائد الغاب للشعراء
المهجريين نجد أن جميعها رمز حب يتدفق.

للوطن المفقود الذي خفى عن أنظارهم، و لا تزال قلوبهم تصيح نشوة به ، و في

٨١ . الدكتور شوقي ضيف - دراسات في الشعر العربي المعاصر - ص

٨٢ . نسيب عريضة ديوانه ص ٥٦

غمرة هذه النشوة ينشدون تلك الألحان العذبة ، يتغنون فيها بالغاب و لعل قصيدة "الغابة المفقودة" لإيليا أبي ماضي أوضح دليل على ما نقول وهو يقول :

يا لهفة النفس على غابة كنت و هنداً نلتقى فيها
أنا كما شاء الهوى والصبا و هي كما شاءت أمانها
تكاد من لطف معانيها يشربها خاطر رائها ٨٣

وكل من يقرأ هذه الأبيات يجد أن تلك الغابة المفقودة التي يصف إيليا أبي ماضي هي لبنان. بجماله و أوديته وفاكهته الشهية و أضوائه و أكاليل زهوره.

وهذا النوع من العاطفة الرومانسية عند معظم المهجريين ، وهذا التيار الأدبي تسرب إلى الأدب العربي من خلال الأدب الغربي يقول الدكتور شوقي ضيف :

"ومعنى ذلك أن الطبيعة في شعر المهاجر الأمريكي ليست

أثراً غريباً كما قد يتبادر إلى الذهن ، دخل إلى شعرهم عن طريق

الآداب الأوروبية و الأمريكية" ٨٤

والصفة الأخرى للعاطفة الرومانسية التي توجد في المهجريين هي الشعور بالألم و

الحزن ، فقلما نقرأ لشاعر عربي مهجري حتى نشعر أساً لاذعاً و بأساً قاتلاً. يقول فوزي

المعلوف :

٨٣ . الخمانل - إيليا أبي ماضي - ص ٨٨

٨٤ . الدكتور شوقي ضيف - دراسات في الشعر العربي المعاصر - ص

ألف اليأس قلبه، فهو والياً س يحاكي بثينة وجميلاً
وإذا اليأس صدّ عنه قليلاً راح يبكي على نواه طويلاً
وإذا ما النسيم مرّ عليه فعليل أتى يعود عليلاً

وهذه العواطف والمشاعر للحزن والألم والبؤس والشقاء والحرمان وعند البعض

التشاؤم توجد عند معظم المهجرين لا مجال لذكر كل واحد منهم مستقلاً لذلك أكتفى

بذكر هذا القدر ويمكن أن نقيس على ذلك الآخرين منهم.

﴿الباب الثالث﴾

مساهمة جبران خليل جبران
في الحركة الرومانسية

الفصل الأول

حياته

هو جبران بن خليل جبران بن ميخائيل بن سعد، نزع جده من دمشق إلى بعلبك ومنها إلى بشعلا ومنها نزع يوسف مع أخويه موسى و ميخائيل إلى بشرى.

”ولد جبران في قرية لبنانية قرب نبع قاديشا هي بشرى عام ١٨٨٣م في أسرة فقيرة وبيئة متأخرة و مجتمع متخلف، وهاجر مع أمه وأخيه الأكبر بطرس وأخته ماريانا و سلطانه عام ١٨٩٥م إلى بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، وتزل حى الصينيين الفقير، وهو في سن الثانية عشرة و يكمل الابتدائية. فأرسله أخوه بطرس رب العائلة الصغير إلى المدرسة لتعلم اللغة الإنكليزية ثم اعاده بعد ذلك إلى لبنان ليدرس العربية، فدرسها في مدرسة الحكمة مدة أربع سنوات. ثم عاد إلى بوسطن ليرى أن داء السل قد فشا في بيت العائلة وحصد أخته الصغيرة سلطانه في غيبته وبعد عام واحد إنتزع من ذراعيه أمه ثم اخاه بطرس، و بقيت له أخته ماريانا تشتغل بالإبرة و توفر له القوت. ٨٥

وإذا ألقينا نظرة عامة على حياته الأدبية رأيناها سلسلة واجدة مؤلفة من بضع حلقات

متواصلة ، وسنقف قليلا على كل من هذه الخلقات .

الحلقة الاولى:

” الحلقة الاولى من حياته تشمل الفترة منذ ترك وطنه لبنان إلى أميركا، وكان عمره فيما يقارب الثانية عشرة من عمره إلى الفترة التي إستقر فيها في نيويورك عام ١٩١٢م وهو في التاسعة والعشرين من عمره كرسام محترف . وهي تنطوي على ١٧ سنة تقلبت عليه فيها أحداث مختلفة“ . ٨٦

” في هذه الفترة كان أول مقرله في أميركا في مدينة بوسطن حيث أقام سنتين مع والدته و إخوته أخذ فيها يتعلم اللغة الانكليزية ثم بعثه ذووه إلى بيروت فبقى فيها خمس سنوات طالبا في أحد معاهدها ، عاد بعدها إلى بوسطن .

و لكن يد الدهر كانت تعمل عملها فنزعت منه شقيقته ثم أخيه و أمه فمنذ مرحلة مبكرة واجه جبران معاناة شديدة وألما نفسا وضيقا ماديا .

”وبقى على هذه الحال بضع سنوات . وفي العشرين بدأ جبران في الإنشاء و الرسم ، وفي هذه الفترة من الزمن تعرف على سيدة أمريكية إسمها ”ماري هاسكل“ في معرض من معارض رسومه فغيرت مجرى حياته بعطفها عليه و عنايتها به فأعجبت هذه السيدة بموهبته الفائقة وكفاءته النادرة فأرسلته على نفقتها إلى باريس ليتقن هذا الفن . أقام في باريس ثلاث

٨٦ . أنيس المقدسى - الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة الأدبية - ط دار المعلمين ، بيروت ، ١٩٨٤ ص

سنوات ثم عاد إلى بوسطن و من بوسطن إلى نيويورك حيث أنشأ محترفاً للتصوير اليدوى .
كانت هذه السنوات السبع عشرة التى جعلناها الحلقة الأولى من حياته مليئة
بالأشواق القلبية والهموم المادية والأحزان النفسية وأولها فشله فى حب أول فتاة ملأت
قلبه، ثم مرارة نفسه لفقد ذوية. وملازمة الفقر والعناء له ، فكان طبيعياً أن يخرج من قلمه
كتب تمثل الحياة الكئيبة المليئة بالأحزان والآلام ، أمثال ”عرائس المروج“ و ”الأرواح
المتمردة“ و ”الأجنحة المتكسرة“ و ”دمعة وإبتسامة“ كلها تنم على شقاء نفسى و تبرم من
قسوة العالم و نقمة على ذوى السلطة ، مع شعور داخلى بضعفه عن المقاومة“ و عواطف
رومانسية خالصة.“ ٨٧

الحلقة الثانية.

وهى تمتد إلى السنة ١٩٢٠م .ثمانى سنوات خرج فيها من هوة الحاجة و بدأ يشعر
بقوة نفسه إزاء الحياة. وقد أثر كتاب نيتشه ”هكذا تكلم زرادشت“ تأثيراً فى نفسه حتى ملأه
بروح الاعتداد بالنفس ، و مال جبران إلى التهكم بالناس والعبث بتقاليدهم و عاداتهم و
شرائعهم المعروفة لديهم. قصارهمه أن يكون حفاراً لقبورهم ، هذا ما لما ألقوه فى حياتهم.
و ذلك ما فعله جبران فى هذا الطور من حياته، فأخرج للناس ”العواصف“ و
”المواكب“ فصول و مقالات تعكس آراءه فى الحياة والناس. وأما العواصف كتاب يضم
عدة فصول ومقالات وهو آخر ما نشره بالعربية، وقد ظهر بعده عام ١٩٢٣م كتاب آخر هو

”البدائع والطريف“ و لكنه لم ينشره بنفسه بل نشره آخرون فيما بعده.

الحلقة الثالثة:

وهى الحلقة الاخيرة من حياته ، وهى فترة أدبه الأنكليزى، و تنتهى بإنتهاء حياته سنة ١٩٣١. و فى هذه الحقبة أصبح جبران ميسور الحال ذائع الصيت، يتذوق لذة اليسر و الشهوة. و من إعتداد بالنفس يدفعه إلى التهكم بهم، فأصبح متواضعا لا يرى الناس دونه، ومن يقرأ مقاله ”وعظتى نفسى“ يتضح له هذا التغير الداخلى فيه، وهكذا نراه فى السنوات العشرة الأخيرة من حياته منصرفا إلى التغنى بالحكمة الأزلية وتمجيد الحياة الإنسانية الصافية . فى هذا الجوارروحي ظهرت له الكتب مثل النبى (The Prophet) عام ١٩٢٣ م، و يسوع بن الإنسان عام ١٩٢٨ م، ورمل وزيد عام ١٩٢٦ م، و آلهه الارض عام ١٩٣١ م وغيرها.

أسلوب جبران خليل جبران

كل من يقوم بدراسة كتابات جبران خليل جبران يدرك تلك الميزات التي تميزه عن من سواه ، لم يكن جبران خليل جبران يجرى على طريقة واحدة في الكتابة ، فهو حيناً يكتب خيلاً عاطفياً مجرداً و حيناً أحاسيس واقعة عميقة ، و طوراً بأسلوب التعنيف القاسى ، و تارة يكتب شعراً فلسفياً تأملياً ، و تارة نثراً شعرياً موسيقياً غير أن كل هذه الأساليب و الطرق التعبيرية كانت تفيض من شخصية متميزة في تكفيرها و خيالها و رجحانها ، و بيانها ، و تجرى بالفاظ شفاقة عميقة التأثير ، سواء أكان ما يكتبه نثراً أم شعراً . سواء أكان أقصوصة أم مثلاً أو حكمة أو خيلاً أو تأملات في الحياة و الطبيعة و فى الكون و ما وراء الكون . ولا يمكن لى إستقصاء جميع هذه الميزات و الخصائص التي تميز بها جبران لأنها كثيرة لم يكن تحديدها فى عدة صفحات ، لذلك قسمنا هذه الميزات على ثلاثة أنواع على سبيل الحصر ، و هى بعد الخيال و روعة الإيقاع و عنف العاطفة سنلقى نظرة عابرة على كل منها .

١ . بعد الخيال : . كما أعتقد ان الفرق بين الأدب الرائع و الأدب العادى هو

قوة الإبتداع التخيلى ، و أهم عناصر هذا الإبتداع ثلاثة : التصميم الموضوعى و التصوير

البيانى و التوسع النظرى .

و يراد بالتصميم الموضوعي ابتداء فكرة تدور عليها القطعة الأدبية و يوجد ذلك في معظم كتاباته . لو تأخذ مثلاً مقاله (رماد الأجيال و النار الخالدة) يقول فيه جبران أن الأجيال تمر و لكن أعمال الإنسان و لا أحلامه لا تفتنى و لا تضعف عواطفه إذ أن هذه الأحلام و العواطف تبقى بقاء الروح الكلى الخالد.

و كذلك في قصة (وردة الهانى) يحاول أن يثبت أن كل ما فى الأرض يحيا و يعيش بناموس طبيعته و من طبيعة ناموسة يستمد مجد الحرية و أفراحها . أما الإنسان فهو محروم من هذه النعمة لأنه وضع لنفسه شريعة عالمية محدودة و سن لجسده و نفسه قانوناً واحداً قاسياً و أقاموا لميولهم و عواطفهم سجناً ضيقاً مخيفاً.

و فى مقاله (مناجاة أرواح) يقابل بين جمال الطبيعة فى لبنان و فساد الحياة فى المدن الأمريكية ، فنراه يصف الحياة الجبلية اللبانية مساءً و صباحاً بقوله :

”قد رقد سكان القرى فى أكواخهم القائمة بين أشجار الجوز و الصفصاف وقد فاحت روائح الترجس و الزنبق و عانقت عطر الياسمين ثم تمازجت بأنفاس الأرض الطيبة و مرت مع تموجات التسيم .. فملأت النفس إعطافاً و منحتها حيناً إلى الطيران ها قد جاءت الصباح فاستفاقت القرى المتكئة بهدوءٍ و سكونة على كنفى الوادى و ترنمت أجراس الكنائس و ملأت الأثير نداءً مستجباً معلنة بدء صلاة الصبح ، فارجعت الكهوف صدى رنينها كأن الطبيعة بأسرها قامت مصلية.“^{٨٨}

٨٨ . جبران خليل جبران - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران جمعها ميخائيل نعيمة - ص

أما مدينة نيويورك فينظر إليها نظرة سوداء إذ يقول واصفاً طلوع الصباح فيها : "قد جاء الصباح و انبسطت فوق المنازل المكردسة أكف النهار الثقيلة ، فازيحت الستائر عن النوافذ و إنفتحت مصاريع الأبواب فبانت الوجوه الكالحة و العيون المعروكة و ذهب التعساء إلى المعامل ، و داخل أجسادهم يقطن الموت بجوار الحياة ، و على ملامحهم المنقبضة قد بان ظل القنوط و الخوف ، كأنهم منقادون قهراً إلى عراق هائل مهلك" ٨٩

قابل جبران بين الحياة القروية الطبيعية و حياة المدن المزدهمة، لويتابع أحد هذه الفقرة يلمح مدى رومانسية جبران فيها، كيف يصور الحياة الطبيعية و الحياة المصطنعة بطريقة إبداعية تتقطر منها العاطفة الرومانسية واضحاً جلياً ، لو نظر إلى كتبه نجد هذا الإبداع التخيلي للموضوع و طريقة الإخراج ظاهراً للعيان ، ففي كتابه "النبي" يظهر هذا الإبداع الموضوعي أكثر وضوحاً و أقوى تعبيراً.

و هذا الإبداع الموضوعي يتجلى بنفس القوة في كتابه (يسوع ابن الانسان) فقد جعل في هذا الكتاب معاصري المسيح يتحدثون عنه ، كل حسب منازعه ومداركه. و من أحاديثهم المختلفة تبرز صورة يسوع كما يتخيلها جبران. و كأنما أوصافهم قصائد جميلة يقف القارئ لديها مدهوشاً أمام عمق الخيال الذي يظهر فيها و في الأسلوب الذي اخترعه الكاتب. و يمكن أن يقال مثل ذلك في معظم ما صنفه جبران.

٢ . التصوير البياني: . كما أن بعد الخيال يظهر في اختيار الموضوع و طريقة

إخراجه كذلك تسود في كتابته روعة التصوير البياني. ولتصوير جبران صيغة خاصة لا يدرك الباحث إلا أن يراها. فهو تصوير فني شعري يتناول المعاني وظلالها، والواقع أن نثر جبران من طراز الشعر يكثر فيه ما يستجيب في الشعر من مجاز رائع. فاذا تكلم مثلا عن حرية الفكر قال: "كبل يدي ورجلي بالقيود، و أنزل بي إلى ظلمة السجون، فانك لاتقوى على أسرفكرتي، لأنها كالسائر في فضاء لاحدله ولا مدى" ٩٠

وكذلك يمكن لنا أن ندرك قوة تصويره البياني في مقاله "مساء العيد" تتراى له فيه لمخيلته صورة المسيح مساء العيد فيقول "أفكر بالشعلة النارية التي أوقدها الروح العلى في قرية حقيرة فطافت مرفرفة فوق رؤوس العصور مخترقة مدنية بعد مدنية" ٩١

وكذلك يصور نفسه بلسان الشاعر تصويراً رائعاً بديعاً فيقول: "أنا غريب في هذا العالم أسير في شوارع المدينة فيتبعني الفتيان صارخين هو ذا الأعمى فلنعطه عكازة يتوكأ عليها، فأهرب منهم مسرعاً. ثم ألتقى بسرب من الصبايا فيتشبثن بأذيالي قاتلات هو أطرش كالصخر فلنملاً أذنيه بأنغام الصباية والغزل، فاتر كهن راكضاً، ثم ألتقى بجماعة من الكهول فيقفون حولي قائلين هو أخرس كالقبر فتعالوا نقوم إعوجاج لسانه، فأغادرهم خائفاً. ثم ألتقى برهط من الشيوخ فيؤمنون نحوى باصابع مرتعشة قائلين هو مجنون أضاع صوابه في مسارح الجن والغيلان"

٩٠. أنيس المقدسى- الفنون الأدبية و أعلامها- ط بيروت لا توجد سنة الطبع، ص ٣٢٩

٩١. جبران خليل جبران- "المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران"- جمعها ميخائيل نعيمة ص

الروعة الموسيقية :. الروعة الموسيقية عامة في كلامه بدرجات مختلفة ، إنها تشد وتضعف بالنسبة إلى موضوع الكلام أو حالة المتكلم، فإذا كان موضوعه مما يتسع لتدفق العواطف ككثير من مقالاته و فصوله، أويكون هو في حالة تأثر و إنفعال كالكثير حالاته، نجد أفكاره تتواكب منه في مقاطع موسيقية ترتاح إليها النفس ليس معنى ذلك أن عباراته تكون موزونة أو مسجعة بل تكون موافقة لموسيقى أفكاره ففي مقاله ”مساء العيد“ مثلاً يصف رب العيد (يسوع) بقوله: ”قلت ومن أنت؟ قال و في صوته هدير مياه غزيرة، أنا الثورة التي تقيم ما أقعدته الأمم. أنا العاصفة التي تقتلع الأنصاب التي أنبتتها الأجيال. أنا الذي جاء ليلقى في الأرض سيفاً لاسلاماً“ ٩٢ فهذا الكلام غير موزون ولكنه يهز مشاعر من يقرأه لأنه يعبر عن أفكار تسودها الموسيقى الجميلة.

و كذلك نجد نفس الروعة الموسيقية و بنفس القوة .

في مقاله عن لبنان ، يقول: ”لكم لبنانكم ولي لبثاني لبنانكم صراع بين رجل جاء من المغرب و رجل جاء من الجنوب. أما لبثاني فصلاة مجنحة ترفرف صياحاً عندما يقود الرعاة قطعانهم إلى المروج؟ وتتصاعد عندما يعود الفلاحون من الحقول والكروم“ ٩٣ ويمكن أن نلمس مثل هذه الروعة الموسيقية في مقاله ”أيتها الأرض“ و هو

٩٢. جبران خليل جبران - العواصف - من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) جمعها

ميخائيل نعيمة - ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ٤٢٤

٩٣. جبران خليل جبران - البدائع و الطرف - من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) ط

بيروت ، ١٩٦٤ ص ٥٢٠

يخاطبها و يعدد عطاياها على الإنسان و يبين صنع الانسان بها بصورة بديعة و سبك جميل تتدفق فيها الروعة الموسيقية تدفقاً جذاباً. ولم تتوقف هذه الروعة الموسيقية على هاتين المقاليتين بل توجد في معظم مقالاته فقد عرضنا هذه الأمثلة فقط على سبيل المثال. والواقع ان روعته الموسيقية هي من أبرز مزاياه الإنشائية.

عنف العاطفة: . و يوجد عنف العاطفة في كتابة جبران بأنوع مختلفة من أبرزها ثلاث، التقرير و التهكم و التمرد . وهذه الثلاث تنبت من أصل واحد هو عدم الرضا بما يراه من أعمال الناس فهو يعنف الناس على قبولهم العبودية في أى شكل جاءت ، يقول في مقاله ” يا بنى أمى “ نفوسكم تتلوى جوعاً و خبز المعرفة أوفر من حجارة الأودية و لكنكم لا تأكلون ، قلوبكم تختلج عطشا و مناهل الحياة تجرى كالسواقى حول منارلكم فلماذا لا تشربون لقد كنت أحبكم يا بنى أمى و قد أضر بي الحب ولم يتفعكم “ ٩٤

و كذلك يعنف جبران في مقاله ” لكم لبنانكم و لى لبنانى “ تعنيفاً شديداً. إذ يقول: ” و من هم ياترى أبناء لبنانكم ؟ ألا فانظروا إلى حقيقتهم : هم الذين ولدت أرواحهم في مستشفيات الغربيين ، هم تلك القضبان اللينة التي تميل إلى اليمين وإلى اليسار و لكن بدون إرادة ، و ترتعش في الصباح و المساء و لكنها لا تدرى أنها ترتعش ، هم أولئك العبيد الذين

٩٤ . جبران خليل جبران - يا بنى أمى - من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) جمعها

ميخائيل نعيمة - ط بيروت ، ١٩٦٤ ص ٣٩٠

تبدل الأيام قيودهم المصدأة بقيود لامعة فيظنون أنهم أصبحوا أحراراً مطلقين “ ٩٥

ويوجد هذا النوع من التقرير في كثير من مقالاته خاصة في تلك المقالات التي

يوازن فيها جبران بين شيئين.

وفي التهكم أيضاً يحمل جبران على ضعاف النفوس من أصحاب المكر والخبث

والجين والجمود. فيقول للذين يلومونه على تطرفه في ندب الشرقيين، ونظره إلى حياتهم

من الوجهة المظلمة: “ أنا أندب الشرق لأن الرقص أمام نعش الميت جنون مطبق..... أنا

أرى الجيفة المنتنة فتشمئز نفسي و تضطرب أحشائي، ولا أستطيع أن أجلس قبالتها و في

يميني كأس من الشراب و في شمالي قطعة من الحلوى “ ٩٦

كتب جبران مقالات تهكمية كثيرة مثل “فلسفة المنطق” “الشیطان” “الكلام”

“السرجين المقضض” وغيرها من المقالات الأخرى.

أما التمرد، فهو طابع جبران الخاص وخصوصاً في المرحلة الأولى من حياته. تتجلى

هذا التمرد في نوع أو آخر في جميع مقالاته. نحو “حفار القبور” و “الإله المجنون” و

“العبودية” و “لكم لبنانكم ولي لبنانى” وغيرها من المقالات الأخرى.

٩٥. جبران خليل جبران - لكم لبنانكم و لبنانى - من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) ط

بيروت، ١٩٦٤ ص ٥٢٢

٩٦. جبران خليل جبران - العواصف - من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) جمعها

ميخائيل نعيمة - ط بيروت، ١٩٦٤ ص ٤٠٩

الفصل الثانى

آثاره الادبية

لقد ترك جبران آثاراً كبيرة و أثرى الأدب العربى بكتبه العربية و الإنكليزية القيمة وابتداعاته النادرة ، التى يزال الأدب العمل ساقوم فى الصفحات التالية بتقديم اعماله الأدبية وبتحليلها يفتخر بها ، و بكشف بعض جوانبها الخفية وخاصة الجانب الرومانسى .

مؤلفاته :

☆ بالعربية :

عرائس المروج . ١٩٣٦

الموسيقى ١٩٣٦

الأجنحة المتكسرة .. ١٩٢٢

الأرواح المتمردة ١٩٢٠

العواصف . ١٩٢٣

المواكب (شعر) ١٩٢٣

دمعة وابتسامة .. رسائل متفرقات

☆ بالانكليزية :

السابق ١٩٢٤

المجنون .. ١٩٢٤

رمل وزيل ١٩٢٧

النسى .. ١٩١٦

يسوع ابن الانسان . ١٩٣٣

آلهة الارض ١٩٣٢

الثائه ١٩٥٠

حديقه النبي . ١٩٥٠

لونتصفح أوراق تاريخ الأدب العربي الحديث نجد أن هذا العبقري الفذ عاش ثمانية و أربعين عاما أولها في بشرى ، لبنان ، و آخرها في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٨٨٣ م إلى عام ١٩٣١ م إنه مر بمراحل مختلفة في حياته و ذاق مرارتها في حين و حلاوتها في حين آخر ، ولكنه منذ نشأته عانى معاناة شديدة و مر بكثير من مراحل الأحران و الكتابة لذلك نجد كل مقال كتبه يتقطر بالعواطف الرومانسية و يصور حياته بمراحلها المختلفة ، كانت ولادته في لبنان ، ففي تلك البقعة الغنية بمفاتيح البيعة و ذكر يا لها الدينية ثروة من الجمال الذي إكتحلت به عين جبران و استحمت به روحه و إغترف جبران من تلك الثروة الغنية في صباه قبل أن يهجر إلى بوسطن سنة ١٨٩٤ م ، ثم في شبابه يوم عاد ليدرس في مدرسة الحكمة البيروتية بين ١٨٩٦ و ١٩٠١ ، ثم راح ينشر بقلمه و بريشته ما إغترف من ذلك الجمال ، و ينشره بلباقة الفنان الأمين لفنه و سخاء الشاعر الملى بالشعور ، فانت تشم طيوب لبنان ، و تستشعر سحر أعالية و أغواره و تحس جماله و جلاله في كتابه "النبي".

كان أول ما كتبه جبران مقال في الموسيقى ، أصدره عام ١٩٠٥ م ، في نيويورك ، فكان الحلقة الأولى في سلسلة مؤلفاته التي تنتهي بكتابه الإنكليزي "الثائه" الذي نشر بعد وفاته ، يقول عن أسلوبه ميخائيل نعيمة :

يتميز بسهولة التعبير ، و حلاوة التلوين و لطافة الوقع و صدق النية و سلامة الذوق ،

و عمق الإحساس ، و النزعة إلى الإبداع فى الوصف و التشبيه ، فهو يتكبد المؤلف من الجناس و المجاز و يحاول تحميل الكلمات من المعانى فوق ما تعودت حملة على السنة الكتاب و الشعراء مثلما يحاول تجريدها من الثقافة و الفضول. ٩٧

و من يقرأ هذا الكتاب (الموسيقى) من البداية إلى النهاية لا يشعر أنه إكتسب شيئاً كان يجهله من علم الموسيقى أو فلسفتها ، و لكنه يشعر أنه شرب جرعة من خمرة بكر لو اتيح لها أن تتعمق لكانت أشهى مذاقاً و أبعد فعلاً و كذلك يشعر أن ذلك الشخص الذى يكلمه غنى القلب عزيز النفس ، يكره التقليد و يحاول شق طريق جديد.

و بعد إصدار الموسيقى لعام و بعض العام أتى جبران بكتاب آخر أكبر حجماً و أبعد مدى منه و هو "عرائس المروج" و ضمنه قصصاً ثلاثاً "رماد الأجيال و النار الخالدة" و "مرتا البانية" و "يوحنا المجنون" و القصة الأولى حكاية حسين عاشا فى سنة ١١٦ قبل الميلاد و كان أحدهما كاهناً فى هياكل بعلبك يوم كانت فى ذروة مجدها و جمالها ، و لكن الموت لم يمهلهم أن إختطف من الكاهن معشوقة و تركه هائماً فى البرية البعيدة مع أسراب الغزلان و لكن على حد قول جبران فى هذه القصة ، تمر الأجيال و تسحق أعمال الإنسان و لكن لا تبنى أحلامه و لا تضعف عواطفه فالأحلام و العواطف تبقى بقاء الروح الكلى الخالد.

لذلك يعود الحبيبان إلى الأرض فى ربيع سنة ١٨٩٠ م ، و يعودان إلى بعلبك عينها و قد أمست هياكلها طلولاً و لكنها يعودان فى زى فتى يرع الأغنام و فتاة قروية عارية القدمين

٩٧ . ميخائيل نعيم - مقدمة "المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران" ص ٧

تحمل جرتها على كتفها لتملاً من الجدول ، فتقول الفتاة لفتاها :

”قد أعادت عشرتوت روحينا إلى هذه الحياة كيلا تحرم ملذات الحب و مجد
الشبية يا حبيبي فيتعاقب الحبيبان و يسكران بنخمة القبل و ينام كل منهما ملتفاً بذراعى
الآخر إلى أن مال الظل و أبقظتهما حرارة الشمس.“ ٩٨

و فى ”رماد الأجيال“ قد بر جبران بعض و عوده التى قام بها فى ”الموسيقى“ و يقدم
بعض التعابير الجديدة و التشايبه المبتكرة التى إستخدمها جبران فى هذه القصة أمثال ”فى
تلك الساعات المملوءة بسحر الهدوء ، الموحدة بين أرواح النيام و أحلام اللانهاية و قوله
”و شحت تمثال المعبودة بنقاب لطيف يشبه برقع الأمانى المحيط بالقلب البشرى و مات
قلبي فى داخلى و إتهبت دموعى فى عينى“ و كل هذه التعابير مملوءة بالعاطفة الرومانسية ،
و الخيال المبتكر و يتكلم جبران عن المجاعة الروحية و عن الذات المقتبسه و الذات
المعنوية الخفية المفعمة بالأحلام المترفعة عن شوائع الإنسان و تعاليمه و هو لم يبلغ
الخامسة و العشرين من عمره.

و جبران مع كونه عبقرياً و بارعاً فى الكتابة ولكنه لا يجيد الحك فى القصة و لا
يحسن التصوير الواقعى يقول ميخائيل نعيمة ”و جبران فى قصصه يخلق حالات و أشخاصا
تنقصهم دقة الحك و التصوير الواقعى و لا غرض له من خلقهم إلا أنه يجعل منهم مطايا
لقلمه ليفتن ماشاء له الفن فى وصف الطبيعة و وشى المشاعر البشرية و على الأخص تلك

التي يغلب فيها التوجع والتفجع والتأسي“ ٩٩

و كذلك يصور جبران في ”مرتا البانية“ فتاة قروية فقيرة الحال ، طاهرة القلب و الجسد ، يغويها رجل من المدينة فتحمل منه و تلد غلاماً ثم ينبذها و طفلها فترميها الحاجة في أحضان الدعارة و يهتدى إليها المؤلف و هي على فراش الموت فيدور بينهما حديث طويل و إليكم فقرات منه.

”إن أدران الجسد لا تلامس النفس النقية و الثلوج
المتراكمة لا تميت البذور الحية ، و ما هذه الحياة سوى بيدر
أحزان تدرس عليه أعمار النفوس قبل أن تعطى غلتها و لكن ويل
للسنابل المتروكة خارج البيدر النفس يا مرتا حلقة ذهبية
مفروطة من سلسلة الألوهية ... إي-يا مرتا ، أنت زهرة مسحوقة
تحت أقدام الحيوان المختبي في الهياكل البشرية تعزى يا مرتا
بكونك زهرة مسحوقة و لست قدماً ساحقة.“ ١٠٠

فتجيب مرتا المتخضرة :

”نعم أنا مظلومة ، أنا شهيدة الحيوان المختبي في الإنسان ، أنا زهرة مسحوقة تحت

٩٩ . ميخائيل نعيمة - مقدمة ”المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران - ط بيروت ، ١٩٦٤

ص ١٠

١٠٠ . جبران خليل جبران - عرائس المروج (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران)

ص ٦٥-٦٦

الأقدام.... أيها العدل الخفى ، الكامن وراء هذه الصور المخفية ، أنت أنت السامع عويل
نفسى المودعة و نداء قلبى المتهامل ، منك وحدك أطلب و إليك أتضرع ، فارحمنى و اراع
بينماك ولدى و تسلم بيسراك روحى.“ ١٠١

كل من يقرأ مثل هذه العبارة يشعر الحالة النفسية و حلاوة تعبيرها كأنه هو الذى
يصورها يقول نعيمه :

”إن فى ما يقوله المؤلف لمرتا و فى ما تقوله مرثا للمؤلف لكثيراً من حلاوة التعبير ،
و طلاوة التصوير و سمو التفكير و لكنك تخرج منه و فى مخيلتك صورة لمرثا رسمتها أنت
و لم يرسمها لك المؤلف و فى وجدانك مشاعر أيقظتها تخيلاتك و لم يوقظها الكاتب
بتشابك الحوادث التى خلفها و لا بدخوله إلى قلب تلك الحوادث و لا بلباقته فى تيسير
الحوار بحيث يكشف لك الستائر عما فى ضمائر المتحاورين و فى قلوبهم.“ ١٠٢

كان جبران مفطوراً على الصدق و الرفق واللين و كان يؤمن بكرامة الإنسان و
الوهية عنصره فكان طبيعياً له أن يصطدم فى بدء تفتح الفنى و الروحى اصطداماً عنيفاً مؤلماً
بخشونه الواقع و رياء الحياة البشرية المكبلة بالتقاليد و الشرائع و قد حارب جبران هذه
التقاليد و الشرائع المصطنعة بكل قوة ، و جرد كل ما ماله من سلاح و عتاد ، و فى الفترة
التي ولد فيها جبران فى لبنان تسودها إقطاعيتان : سياسة و دينية و قد اتخذ جبران من هاتين

١٠١ . نفس المصدر ص ٦٦ - ٦٧

١٠٢ . ميخائيل نعيمه - مقدمة (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران) ص ١١

عبدن
الاقطاعتان أهم المواضيع للقصص التي صنفها قبل أن إكتملت عدته الفنية و الفكرية و
مواضيعه تكاد تنحصر في إثنيين : جور التقاليد البشرية في ما حللته و حرّمته من العلائق بين
المرأة و الرجل ، و جور الحكام المدنيين و الدينيين في علاقتهم مع الجماهير التي ندعوها
الشعب ، و لعل أحب الناس عند جبران هو ابن الفطرة و ابن الطبيعة ، سواء كان راعي أبقار
أم كان حراساً أم عاملاً لا سلاح في يده غير المعول و لعل أبغض الناس عنده هم الذين
يظلمون أبناء الفطرة و الطبيعة ، فيهضمون حقوقهم و يمتنون كرامة الإنسان فيهم و
يقدمون اليهم السم في الدسم.

و في عام ١٩٠٨ م ، صدر لجبران كتاب "الأرواح المتمردة" في نيويورك و قد
نشرته جريدة "المهاجر" و إن كانت الفترة بين "عراس المروج" و بين "الأرواح
المتمردة" قصيرة ولكن يوجد بينهما بون شامع من حيث المعالجة و الأداء ، و إن كانت
المواضيع و المرامي مشابهة ، فالديباجة في "الأرواح المتمردة" أكثر إشراقاً و اللغة أمتن
سبكا و أحب صدراً و الحجة أقوى حبكا و أبعث أثراً ، و الفكرة أصفى ينبوعاً و أسرع جرياً و
الجرس اللطيف وقعاً و أشجى لحناً.

و كتاب "الأرواح المتمردة" كما يدل عنوانه يحدث عن أرواح تمردت على
التقاليد و الشرائع القاسية التي تحد من حرية الفكر و القلب و التي تمنح لجماعة من الناس
سلطة تحكم بها في أرزاقهم و عواطفهم و أعناقهم باسم القانون و باسم الدين ، جبران يفتح
الكتاب بحكاية "السيدة وردة" فيصورها امرأة بعيدة الفكر صادقة القلب ، جميلة الوجه ،
نبيلة الروح فزرجهما أهلها بشخص يفوقها سناً بكثير فما لبثت أن كرهته و بدأت تحب شاباً

آخر آثار كوامن نفسها مثلما أثارت كوامن نفسه و هجرت زوجها و التحقت بحبيها غير
مبالية بلواذع النقد و بالقطيعة الإجتماعية ، فهذه القصة من أولها إلى آخرها شكوى امرأة
مظلومة و لكنها شكوى بليغة و مؤثرة بما أودعها فن جبران و حماسته و إندفاعه من جمال
و قوة و إخلاص. ١٠٣

و كذلك الحال في ”صراخ القبر“ فهي حكاية ثلاثة أشخاص حكم عليهم الأمير
بالقتل من غير أن يسألهم سؤالاً و من غير أن يسمع شهادة شاهد في قضاياهم ، أولهم شاب
اتهم بقتل ضابط و لكنه قتل دفاعاً عن عرضه و شرفه و ثانيهم فتاة إتهمها زوجها بالخيانة و
لكنها في الواقع ما خانته بل لم تكن تحبه لأنها إرتبطت به برغم إرادتها و كانت تحب سواه و
قد فوجئت في خلوة مع حبيها فاتهمت بالخيانة و حكم عليها بالرجم و ثالثهم إتهموه
بسرقه بعض الأواني الذهبية من كنيسة الدير ولكنه في الواقع ما سرق غير زنبيل من الدقيق
لأنه كان يتضور و أولاده جوعاً من بعد أن طرده الدير من خدمته.

إلا أن جبران لم يتابع الواقع في ترتيب الحوادث و الأشخاص في هذه القصة بل أراد
أن يخلق بقلمه جواً يستطيع أن يسرح فيه على هواه فيصف ما طاب له الوصف و يندد ما
لذله التنديد يقول جبران في ”صراخ القبور“ ”الشريعة و ما هي الشريعة ؟ من رآها نازلة مع
نور الشمس من أعماق السماء ؟ و أى بشرى رأى قلب الله فعلم مشيئته في البشر؟ و فى أى
جيل من الأجيال سار الملائكة بين الناس قائلين : إحرموا الضعفاء نور الحياة“ بناء على هذه

العبارة لجبران ممكن أن نقول إن لجبران شريعة خاصة و هي شريعة الغريزة و أما الشرائع المعروفة لدى الناس لا قيمة لها و لا أهمية ، ولا بد للناس أن لا يتقيدوا بشرع غير شرع الغريزة.

و فى "مضجع العروس" تابع جبران نفس الموضوع و هو موضوع الزواج الكرهى و جور الحكام و الرهبان ، فهناك فتاة و فتى يتعشق ^{واحرهما} و احدهما الآخر و لكن الفتاة تزف إلى رجل و ذلك من بعد أن وشى لها الوشاة أن حبسها هام بغيرها و فى ليلة زفافها تلتقى الفتاة بحبيبها فيعلن الفتى أنه مال عنها إلى سواها و لكنها لا تصدقه و عندما يصر على قوله تستل خنجراً و تطعنه و عندئذ و هو بين يدى الموت ييوح لها من جديد بحبه و يلفظ أنحابه ، فتدعو الفتاة الناس إلى "عرسها الحقيقى" و فوق جثة العريس تلقى خطبة رائعة فى جمال الحب و قساوة التقاليد التى تحاول حصره و خنقه فتقول للناس : "أنتم لا تفهمون كلامى لأن اللهجة لا تعنى أغانى الكواكب" ثم تحاطب الرجل الذى زفت إليه برغم أنها فتقول له: "أنت أيها الرجل الغبى الذى إستخدم الحيلة و المال و الخبائثة ليصيرنى له زوجة. أنت رمز هذه لأمة العيقة التى تبحث عن النور فى الظلمة و تترقب خروج الماء من الصخرة و ظهور الورد من القطرب" ١٠٤

ثم هى تغمد الخنجر فى صدرها و لا تنقطع عن الكلام حتى ينقطع قلبها عن النبض . و تنتهى القصة بجملة عنيفة على الكاهن، الذى رفض الصلاة على المتحررين مهدداً باللعة

كل من يجتر على لمسها . ولكن فتاة متمردة هبت للكاهن تعنفه و تتحداه "أنا أبقى ههنا
أيها الكافر الأعمى، و أنا أحرسهما حتى يجئ الفجر، وأنا احفر لهما قبرا تحت هذه الأغصان
المتدلّية.

كان جبران يحب موطنه الصغير حباً شديداً، ففي جبال لبنان الجميلة تفتحت
عبريته فكان ^{طبيعياً} أن يتغنى جبران أول ما يتغنى بمفاتيح لبنان، و أن يحس أو جاعه في كل
نبضه من نبضات قلبه الحاس و أن يتفض وجداته السليم إنتفاضة الالم العميق لكل مشهد
من مشاهد الذل والظلم والرياء في هذه البقعة التي أحبها إلى أقصى حدود المحبة وكان
يودها ظاهرة من كل شئ إلا من الكرامة والعدل والجمال والمحبة كل ما كتب في حياته
الابتدائية كان من .

ولذلك كانت كل بواكيره من وحي لبنان . فمن "الموسيقى" إلى "عرائس المروج"
إلى "الأرواح المتمردة" إلى "الأجنحة المتكسرة" يمضي جبران يعرض عليك صوراً لبنانية،
ووجوها لبنانية، و أصواتاً لبنانية ثم يتصرف عن موطنه الأصغر إلى موطنه الأكبر، إلى العالم
. ولكنه يعود بك بين الحين والحين إلى لبنان فتسمعه يصرخ بعد أعوام " لكم لبنانكم و لى
لبناني"

و أصدر جبران "الأجنحة المتكسرة" في نيويورك بعد "الأرواح المتمردة" بأربع
سنوات يروى فيها جبران رواية جبه الأول و يرويها بأسلوب شعري، وجداني، مشبع بروح
التقديس للحب و كل ما يبعثه في النفس من غبطة سماوية وآلام لا تطاق ، و جبران كلما
تغنى بالآلام القلب البشرية وآلامه أسمعك من الالحن أشجاها و أراك من الألوان أبهاها.

فكيف به يتغنى بحبه الأول وبجمال الفتاة التي أيقظته في قلبه.

لقد حاول جبران في " الأجنحة المتكسرة" أن يكتب رواية إلا أنه ما استطاع أن

يخرج في محاولته هذه عن نطاق محاولاته السابقة.

و القصة هي أنه كانت فتاة جميلة إسمها "سلمى كرامة" وهي كانت في مستهل

الشباب "وليس بين النساء من تماثلها رقة وجمالاً وهي وحيدة والدها الأيم الذي يحبها حتى

العبادة، وهو صديق قديم لوالد جبران . وصادقته للوالد جلبت الولد إلى بيته حيث عرف

سلمى فتمكن الحب بين قلبه و قلبها من اللحظة الأولى. و باح كل من الحبيين بوجده

لرفيقه. إلا أن المطران طلب سلمى لابن أخيه. فما كان من الوالد إلا أن أجاب بالإيجاب من

غير أن يستشير ابنته بكلمة ولا كان من الإبنه إلا أن أجابت والدهار "نعم" من غير أن تأخذ

رأى حبيبها في الأمر. وكان زواج وكان شقاء، وكان مأساة مألها التفجع والتوجع وتبادل

الشكوى الشعرية والفلسفية بين الحبيين اللذين واحيا اجتماعان خلصة.

و خشيت سلمى على حبيبها من أن يدرى الناس بما بينها وبينه فيسلقوه بالسنتهم ،

لذلك إعتزمت أن تضحى "بالمحبة المحدودة" في سبيل "المحبة غير المحدودة" فتقلع عن

زياراتها السرية، وحملت سلمى بعد عقم و وضعت غلاما عند القجر مالبت أن قضى نحيه

عند شروق الشمس ومالبت أمه أن التحققت به.

إن في هذه القصة . مثلما في كل قصص جبران شحوباً مرده طغيان الحديث فيها

على الحركة. والخيال على الواقع. وهذا الشحوب هو في آن واحد مصدر الضعف والقوة،

ففي الحديث بريق من الفن والفلسفة ينسبك مافيه من تصنع "و يعوض عن قلة الحركة إلى

حد بعيد ، و من ثم مادان جبران يوماً بقوة الواقع وحقيقته ودان كل حياته بحقيقة الخيال وسلطانه.

وبعد "الأجنحة المتكسرة" هجر جبران القصة فما عاد إليها إلا نادراً. وانصرف إلى المقطوعة من نوع "الشعرا المنثور) وإلى المثل والموعظة.

و بين عام ١٩٠٣ م و عام ١٩٠٨ م ، أخذ جبران ينشر في جريدة "المهاجر" مقالات من الشعر المنثور تحت عنوان "دمعة وابتسامة" وهذه المقالات هي التي جمعت عام ١٩١٤ م ، ونشرت في شكل كتاب بنفس العنوان.

ويضم هذا الكتاب نحواً من ٦٠ مقطوعة ينشر فيها جبران نتفاً فياضة من قلبه، و شرارات و حاجة من فكره ، و ألوانا مواجهة من خياله، و ينشرها بقلم ناعم، صادق ، و إن دراسة "دمعة وابتسامة" تقود إلى تاريخ قلب جبران وفكره و تاريخ حياته حتى عام ١٩٠٨ م.

و في هذا الكتاب تتدفق العواطف والهواجس التي أثارته حياتها في بيروت وكذلك حياتها في باريس التي زار خلالها أهم العواصم الأوروبية وكذلك مطالعاته الدائمة في الآداب الغربية والشرقية والرزايا التي نزلت به إذ إختطف السل أخاه ، ثم شقيقته ثم أمه. كل ذلك و مايشره من تأملات في الحياة و شئونها تظهر آثاره بارزة في الكتاب.

و جبران يقدم في هذا الكتاب أكوابا طافحة بمرارة الكآبة و الوحشة و أخرى مترعة بخمور الحب والأمل. ففي معظم مقطوعات "دمعة وابتسامة" تلتصق أقباس من الحقيقة التي صاغ منها جبران فيما بعد مواعظ نبيه. وهي حقيقة المحبة التي تشد الأكوان بعضها إلى

بعض و تجعل للحياة معنى شاملاً يتسامى فوق كل المقادير والمقاييس البشرية ، و تقيم للانسان وزناً يضيق به الزمان والمكان، فما أكثر ما يذكر جبران المحبة. وما أكثر ما يمجد الانسان. و إن هو تبرم بما فى حياة الناس من خساسة وقباحة وجهل وظلم فما كان ذلك يعنيه عن حكمة الحياة الشاملة و عدلها وعن ألوهية الإنسان فهو يقول فى ”القوة العمياء“.

”إن وراء الكائنات حكمة سرمدية تتدع من كوارث ونوازل نراها محاسن نتائج لانراها“ ثم يقول فى نهاية المقطوعة. ”على أنى وجدت بين هذه النكبات المخيفة والرزايا الهائلة ألوهية الإنسان واقفة كالجبار تسخر بحماقة الأرض و غضب العناصر ، و مثل عمود نور منتصب بين خرائب بابل و نينوى و تدمر و بمباى و سان فرانسيسكو ترتل أنشودة الخلود قائلة: لتأخذ الارض مالها. فلا نهاية لى.

و فى عام ١٩١٩ م ، أصدر جبران قصيدته ”المواكب“ وهى تمثل ناحية جديدة من حياة جبران متعددة التواحي ، وهى المرة الأولى والأخيرة التى إختار جبران فيها أن يتقيد بالوزن والقافية لخلق عمل فنى له شأن. و قد نظم سابقاً القليل من الشعر الموزون فى حالات عاطفية طارئة. أما فى هذه القصيدة فيلجأ جبران إلى فكره قبل قلبه و يسوق إلينا خواطر فلسفية فى أهم شئون الحياة البشرية كالخير والشروالدين والحق والعدل وغيرها.

و فى هذه القصيدة تياران يجريان فى إتجاهين متعاكسين أولهما يمثل الحياة بظاهرها القبيح وباطنها الجميل، والثانى يمثلها وحدة روحية لاباطن لها ولاظهار. الاول يتبرم بما فى الحياة البشرية من رياء وضعف وذل وقلق ونضال دائم بين الخير والشر. والثانى يمجد الحياة فى الغاب، حياة الفطرة والسليقة. حيث لاخير ولاشر بل إستسلام

كامل إلى المشيئة العاقلة المدبرة التي تتسامى فوق الشر والخير ويتخيل أن التيار الأول صوت شيخ والثاني صوت شاب. يفتح الصوت الأول القصيدة بأبيات في الخير والشر ثم ينتقل إلى الحياة فالدين فالعدل فالحق فالعلم فالحرية فاللطف فالظرف فالحب فالجنون فالسعادة فالروح فالجسد فالموت ، وهذه كلها يجول فيها جولات طويلة أو قصيرة تتشابه في رزانة النبزه و في السعى وراء الجديد و الجليل في المعنى. و تتفاوت في حظوظها من الموضوع والغموض و من إنسجام المعاني و المباني. و حاول جبران أن يروض اللغة و الوزن و القافية و لكن العياء لا يلبث أن يبدوعليه. إلا أنه حيثما حالفه التوفيق جاء بالنفائس مثال ذلك قوله في الحياة.

فالأرض خمارة والدهر صاحبها وليس يرض بها غير الأولى سكرها
وقوله في الحق :

والحق للعزم والأرواح إن قويت سادت وإن ضعفت حلت بها الغير
وقوله في الحرية :

والحرف في الأرض يبني من منارعه سجناله وهو لا يدري فيؤتسر
وقوله في الحب :

والحب إن قادت الأحسام موكبه إلى فراش من اللذات نيتحر
والحب فر الروح لافي الجسم نعرفه كالخمر للوحى لالسكر تنعصر
وقوله في السعادة :

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يرجى فان صار جسما مله البشر

والصوت الثاني يقول إن في الغابات ألفة وصفاء و هناء لايشوبها نسي من التناقض
القائم في أفكار الناس و قلوبهم من حيث علاقتهم بعضهم ببعض وبالكائنات من حواليتهم.
فيقول في نشيده عن الخمر والسكر.

ليس في الغابات سكر من مدام أوخيال
أعطني النأى و غن فالغنا خير الشراب

ويقول أيضاً:

إنما الناس سطور كتبت لكن بماء

هذا عجيب لجبران الذى كان يؤله الانسان ويقول أن لانهاية له كما رأينا في مؤلفاته
السابقة خاصة في "دمعة و إبتسامة" كيف يجرى قلمه في كتابة هذا البيت "انما الناس
سطور — كتبت لكن بماء.

و هذا البيت مملؤ بالتشاؤم والإستسلام للأقدار و هو النافخ في بوق التمرد و
العصيان.

ثار جبران في بدء حياته الأدبية على الظلم الذى تجسد له أول ما تجسد في جور
التقاليد و الحكام و غطرسة رجال الدين في لبنان. و انتهت ثورته تلك برواية "الأجنحة
المتكسرة" و عقبها فترة قصيرة من التصوف و الإستسلام و لكن ماليت أن أفسده عليه
نيتشه بثورته الجامحة الهاصرة. و كتابه "هكذا تكلم زرادشت" في نظر جبران "من أعظم ما
عرفته كل العصور"

و ثار جبران مع نيتشه لا على الحكام و الرهايين و حدهم بل على جميع الناس و

التقاليدهم ومقاييسهم وموازينهم وعلى الأسس الواهية التي أقاموا عليها صرح حياتهم والتي لا تستطيع أن تحررهم من الخوف والذل والعبودية والمسكنة بل مكنت في نفوسهم مخاوف ورذائل لاحصر لها. إذ قضت على الإرادة الخلاقة فيهم التي هي وحدها الكفيلة بأن تبلغ بهم الانسان الامثل.

ممكن نرى آثار هذه الثورة الجديدة في "المواكب" ولكن هذه الثورة تبدو عفيفة صارخة صاحبة في مقالات كتبها قبل "المواكب" ثم جمعها وغيرها من المقالات وأصدرها في كتاب سماه "العواصف في مصر عام ١٩٢٠م ، و أبرز تلك المقالات و أشدها عنفاً "حفار القبور" وكذلك مقالات أخرى أهمها "العبودية" و "وطني أمي" ونحن وأنتم" و "أبناء الألهة" و "أحفاد القروء" و "الأضراس المسوسة" و "العاصفة".

و في "حفار القبور" لا يجد جبران شقلاً أحب إليه من حصر القبور والحاد الأموات. و من هم الأموات عتده الذين يلحد لهم؟ هم جميع الناس الذين يرتعشون أمام عاصفة الحياة فتظنهم أحياء و هم أموات منذ الولادة و لكنهم لم يجدو من يدفونهم فظلوا منتظرين فوق الثرى ورائحة التثنت تبعث متهم.

هذا عجيب لجبران الذي ما كان يجعل أحداً من معلمى الإنسانية و أنبيائها إجلاله يسوع ، كيف يرافق رجلاً مثل ينتشه حاول أن يتال من مجد المسح و سمو رسالته لأنه يصوره رجلاً ضعيفاً متمسكاً راح يموه على الضعفاء والمساكين ولكن جبران الذي وافق ينتشه في نقمته على الناس و ضعفهم و إستكانتهم إلى الذل و العبودية لم يوافق في نظرتة إلى يسوع.

فى "العواصف" مقالات تعود بنا إلى ذلك الشاعر الواجدانى الذى ما كان يلذه شئ
مثلما يلذه أن ينشر قلبه على الورق بكل ما فيه من حب و كآبة و وحشة و غربة و ألم و شوق و
حين. مثال ذلك مقطوعته البديعة فى "الشاعر" حيث يقول.
"أنا غريب فى هذا العالم.

أنا غريب وقد جبت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد مسقط رأسى و لا لقيت من
يعرفنى".

وكذلك مقاله الجميل "بين ليل و صباح" الذى يقول فى بدايته.
"اسكت يا قلبى فالقضاء لا يسمعك" والذى يختمه بقوله:
"قم يا قلبى و ارفع صوتك مترنما. فمن لا يشارك الصبح بأغانيه كان من أبناء
الظلام.

وكذلك مقاله الجميل "بين ليل و صباح" الذى يقول فى بلايته.
"اسكت يا قلبى فالقضاء لا يسمعك" والذى يختمه بقوله:
"قم يا قلبى و ارفع صوتك مترنما. فمن لا يشارك الصبح بأغانيه كان من أبناء الظلام.
وكذلك مقاله المؤثر "مات أهلى" الذى يبلغ فيه منتهى الرقة والعذوبة والحنان.
حيث يقول:

"مات أهلى على الصليب.
ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين.
ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين.

ماتوا لأنهم كانوا مسالمين“.

عندما قلت إن ”العواصف“ كان آخر كتاب أصدره جبران ما أردت أنه إنقطع من بعده إنقطاعاً تاماً عن الكتابة بالعربية بل أردت أنه من بعد أن شق طريقه إلى العالم الإنكليزي إنصرف عن العالم العربي إلى حد بعيد. فما أصدر كتاباً عربياً جديداً. ولكنه ظل يكتب مقالات متقطعة.

وكان آخر ما كتبه بالعربية مقالا أعده للسانح ولكنه لم يصدر وقد ادركته المنية ماء العاشر من نيسان سنة ١٩٣١ وكانت وفاته هزة منيفة للادب العربي.

و من كتبه الإنكليزية كتابه ”النبى“ أكثرها شهرة وأكبرها عظمة “ خلق فيه جبران شخصاً دعاه المصطفى وجعل روحه نيرة إلى حد أن سامعيه كانوا يخاطبونه ”يا نبى الله“ وهو يصوره لنا غريباً فى مدينة أورفيليس قضى فيها إثنتى عشرة سنة فى إنتظار سفينه التى كان ينتظر قدومها لتعود به إلى مسقط رأسه. و إذ تقبل السفينة، يتقاطر إليه أهل المدينة ملحين عليه بالبقاء بينهم فلا يجيبهم إلا بالصمت والدموع.

وأخيراً يسير معهم إلى ساحة أمام الهيكل، فتطلب منه رائيته الهيكل أن يحدثهم قبل الوداع عن أنفسهم وعماعرفه بالوحي منكل ما هو بين الولادة والوت. وهكذا يفتح المجال للمصطفى ليكشف لسامعيه علاقتهم بعضهم مع بعض ومع الحياة لا كما يرونهم بأعينهم المقنعة بالأوهام بل كما يراها هو بعين روحه الصافية. فيلقى عليهم خمسا وعشرين موعظة فى خمس وعشرين جهة من جهات الحياة الانسانية، ثم يودعهم ودائما مؤثرا ويتصرف عنهم إلى بلاده.“

الفصل الثالث

الرومانسية في أدب جبران

كان جبران رائداً للحركة الرومانسية في الأدب العربي، وهو الذي أعطى الرومانسية العربية شكل الحركة ورومانسية لاتقل قوة أهمية من الرومانسية الأوروبية، يقول إحسان عباس "..... كان رومانطيقياً إلى أطراف أصابعه، وصوره تكاد لا تفترق في شيء عن شعراء الرومانطيين بفرنسا وإنكلترا" ١٠٥ وكان جبران متأثراً تأثراً واضحاً بأعمال الشعراء الرومانسيين الجدد الأمريكيين والأوروبيين كذلك، وكان يحمل وجدانا عميقاً، و نفساً رومانسية مرهفة، و عاطفة متدفقة، تقوم رومانسيته على معظم القواعد والموضوعات التي قامت عليها الرومانسية الغربية، و توجد جميع مواضيع الرومانسية وصفاتها في أعماله بدرجات متفاوتة.

الثورة:

كانت الثورة عنصراً أساسياً في أعمال جبران، و صفة مميزة "قدثار جبران على قومه و مجتمعه. و تحولت ثورته إلى شعور قاس بالمرارة والأسى، حتى كان يتمنى لو لم يكن شيئاً

١٠٥. إحسان عباس - فن الشعر - ط بيروت، ص ٤٦

يذكر في هذا المجتمع كى لا يعيش الصدام المرير مع أبناء مجتمعه. "١٠٦

يقول جبران فى مقاله " نفسى مثقلة باثمارها" " ألا لىتنى شجرة لاترهر، ولاتنتب!
فألم الخصب أمر من ألم العقم. لىتنى كنت بئراً جافة، والناس ترمى بى الحجارة، فذلك
أهون من أن أكون ينبوع ماء حى و الظامئون يجتازونى ولايستقون. لىتنى كنت قصبة
مرضوضة تدوسها الأقدام، فذاك خير من قيثارة فضية الأوتار فى منزل، ربها مبتور الأصابع
وأهله طرشان" ١٠٧

لقد ثار جبران فى هذه العبارة على الحياة الراكدة والجامدة التى لآحرك فىها ولا
حوية، الحياة بدون الحوية لآمعنى لها عند جبران وقد عبر هذه العاطفة بطريق تورى نادر.
وهذه الثورة تبدو واضحة جليا بكل قوة فى مقاله "لكم لبنانكم ولى لبنانى" يقول
"لكم لبنانكم و أبناؤه ولى لبنانى وأبناؤه ! ومن هم ياترى أبناء لبنانكم ألا فانظروا هنيهة
لأرىكم حقيقتهم ! هم الأحرار المصلحون المتحمسون، ولكن فى صحفهم وفوق منابرهم،
والمتقادون الرجعيون أمام الغربيين. هم أولئك العيد الذين تبدل الأيام قيودهم المصدأة بقيود
لامعة، فيظنون أنهم أصبحوا أصراراً مطلقين.

هؤلاء هم أبناء لبنانكم، فهل بيتهم من يمثل العزم فى صخور لبنان، أم النبل فى

إرتفاعه، أم العذوبة فى مائه، أم العطر فى هوائه؟

١٠٦ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - ص ٢٨٢

١٠٧ . جبران خليل جبران . البدائع والطرائف . من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران) تقديم ميخائيل

نعيمه . ط بيروت، ١٩٦٤ . ص ٥٠٠

و لكن قفوا قليلاً و انظروا لأريكم أبناء لبناني:

هم الفلاحون الذين يحولون الوعر إلى حدائق و بساتين ، هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من واد إلى واد، فتنمو وتتكاثر و تعطىكم لحومها غذاءً و صوفها رداءً. “ ١٠٨

و تجرى هذه الثورة من بداية المقالة إلى نهايتها بنفس القوة و العاطفة، ” ويرى بعض الدارسين أن هذه الثورة الجبرانية ليست إلا إنفعالات هوجاء لم تنطلق من أرضية واقعية ، و رؤيا واضحة للعلاقات الاجتماعية كعلاقات تناقض ، لاتحل إلا بقوة الصراع الطبقي ، و أن هذا الكلام لا يخرج عن نطاق الميتافيزيقيا، لا يمكن حل مشكلاتها إلا حلا وهميا، سواء إتخذ هذا الحل شكل السحرا أو النبوءة أو غيرهما “ ١٠٩

وقد تمرد جبران على تقاليد الماضي و شرائعه و حاول أن يهدم كل ما بناه الناس من أوضاع و شرائع فيقول على لسان ”الإله المجنون“: ” في الصباح أجذف على الشمس، و عند الظهيرة ألعن البشر، و في المساء أسخر بالطبيعة، و في الليل أركع أمام نفسي و أعيدها “ ١١٠

و كذلك يذهب جبران إلى أبعد من ذلك في مقاله ”المخدرات و المباح“ فبعد أن

١٠٨ . جبران خليل جبران . البدائع و الطرائف . من (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران) تقديم ميخائيل

نعيمه . ط بيروت ، ١٩٦٤ . ص ٥٢٢-٥٢٣

١٠٩ . يمنى العبد . الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومانطيقى فى لبنان . ط بيروت لا توجد سنة الطبع ،

ص ٤٩

١١٠ . جبران خليل جبران . العواصف . (المجموعة الكاملة) ص ٣٧١

يعدد آراء الناس فيه و في كتابته يقول ”وهم مصيبون. فانا متطرف حتى الجنون، أميل إلى الهدم لا إلى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدهه الناس، وحب لما يابونه. ولو كان بإمكانى إستئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة.

أما قول بعضهم أن كتاباتي سم في دسم ، فكلام يبين الحقيقة من وراء نقاب كئيف. فالحقيقة العارية هي أنني لا أمزج السم بالدم، بل أسكبه صرفاً. غير أنني أسكبه في كؤوس نظيفة شفافة.“ ١١١

الغربة :

الغربة من الموضوعات التي تناولها جبران على مستوى رومانسى رفيع جارى فيها كبار شعراء الرومانسية. يحب جبران نفسه غريباً في هذا العالم المزدهم بالناس، وهذا الشعور متبعث من تلك الأحداث التي مر بها جبران منذ نعومة أظفاره. وقد عبر جبران هذه المشاعر والأحاسيس بصورة تؤثر على النفوس تأثيراً عميقاً يقول جبران في مقاله (الشاعر)،
” أنا غريب في هذا العالم ، أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير أنها تجعلنى أفكر أبداً بوطن سحرى لا أعرفه..... أنا غريب عن أهلى و خلاننى ، فإذا ما لقيت واحداً منهم أقول فى ذاتى من هذا، وكيف عرفته، وأى ناموس يجمعى به، ولماذا أقرب منه وأجالسه؟ أنا غريب عن جسدى، وكلما وقفت أمام المرأة أرى فى وجهى ما لا تشعر به

نفسى و أجد فى عينى مالا تكنه أعماقى“ ١١٢

الليل:

وكذلك يوجد ذكر الليالى فى أعمال جبران بكثرة بنعمته الخاصة و أحلامه الممتعة

و موسيقاه العذبة يقول جبران فى مقاله (إنها الليل):

”ياليل العشاق و الشعراء المنشدین

ياليل الأشباح و الأرواح و الأخلية

ياليل الشوق و الصابة و التذكار

أيها الجبار الواقف بين أقزام غيوم المغرب و عرائس الفجر ، و المتقلد سيف الرهبة

المتوج بالقمر ، المتشح بثوب السكوت ، الناظر بألف عين إلى أعماق الحياة ، المصغى

بألف أذن إلى أنه الموت و العدم ، أنا مثلك و إن لم يتوجنى المساء بغيومه الذهبية.“ ١١٣

و إن تصور الليل عند جبران تصور نادر لا يوجد مثل ذلك فى أدب الرومانسين

الآخرين يقول الدكتور ياسين الأيوبى فى ليل جبران ”و الملاحظ أن ليل جبران لا شبيه له فى

آداب الرومانطيين ، و إن استقروا كلهم و إياه من نبع واحد هو النفس القلقة المتملئة من

هذا العالم الضيق الذى يزداد ضيقاً أمام أنظارهم اللامتناهية.“ ١١٤

١١٢ . جبران خليل جبران - العواصف - (المجموعة الكاملة) ص ٤٨٧

١١٣ . نفس المصدر ص ٣٨٣

١١٤ . الدكتور ياسين الأيوبى - مذاهب الأدب - ص ٢٨٥

الطبيعة :

و كانت الطبيعة من أهم الموضوعات التي طرقها جبران في كتاباته و كانت علاقته بالطبيعة علاقة وطيدة و كان يتغنى بها في معظم أعماله و كذلك كان يدعو جبران إلى زيادة التعلق بها من خلال أعماله الأدبية ، و كان أحب الناس عنده ابن الفطرة و كذلك أبغض الناس عنده من يظلم على أبناء الفطرة .^{الإفلاح}

يقول الدكتور ياسين الأيوبي : ” و من الموضوعات التي طرقها جبران في أدبه العام موضوعه الطبيعة و كان يسميها الأرض ، ربما لأن الأرض تحمل معنى الإحتضان أكثر مما تحمله كلمة الطبيعة و مع ذلك فقد تغنى جبران بالائتئين ، مما لا مجال فيه لإستشعار أى تمييز من جانب الكاتب .“ ١١٥

يقول جبران في ذكر الطبيعة :

ما أجملك أيتها الأرض و ما أيهاك

نحن نكلل صدرك بالسيوف و الرماح و أنت تغمرين كلومنا بالزيت و البلسم .

نحن نزرع راحتك العظام و الجماجم ، و أنت تستبئينها حوراً و صفصافاً .

نحن تستودعك الجيف و أنت تملئين بيادونا بالأغمار و معاصرنا بالعناقيد .“ ١١٦

الحزن و الكآبة و الموت :

١١٥ . نفس المصدر و الصفحة

١١٦ . جبران خليل جبران - البدائع و الطرائف - (المصدر السابق) ٥٣٢ - ٥٣٦

و كذلك يوجد ذكر الحزن و الكآبة و الموت في كثير من مقالاته و كان يتحدث عن الحزن و الكآبة و الألم و ما قد ينتابه من مشاعر سوداوية كثيراً ما دعتة إلى نشدان الموت و الرغبة في إحتواته.

و باختصار إن جبران يستحق لقب الريادة الرومانسية في أدبنا الحديث ، إنه أحدث ضجة كبيرة في الأدب العربي الحديث و له مساهمة كبيرة في توجيه الحركة الرومانسية إلى ذروتها الشماء.

خاتمة البحث

إن النقاط التي أوردتها لا تشكل في الحقيقة إلا ملامح عامة من الصورة الرومانسية ،
و حاولت في ذكر بعض هذه الملامح و بقيت أكثرها لم تذكر ، لأن الحركة الرومانسية
عالم لا يحد و لم يستطيع النقاد إحتواءه حتى اليوم ، لا من حيث صيغتها الأسلوبية و لا
مضامينها الفكرية فالرومانسية مذهب أدبي و إجتماعي و حضاري ، نابع من روح العصر ، و
متجه دائماً إلى تجسيد هذه الروح بشكل أو آخر .

و قد أكد الناقد الروسي الكبير ميلنسكى هذه الظاهرة حيث قال :

”إن النزوع الرومانيكي ظاهرة النفس الإنسانية العامة التي

تنحصر كل الأرمنة والشعوب.“ ١١٧

و لكن توقفت الرومانسية الأدبية بأشكالها التي درسناها عند منتصف القرن التاسع
عشر، فأنها قد تفرعت من جديد ، و اتخذت أشكالاً أخرى عرفت فيما بعد بمدارس أدبية
أخرى من أهمها : المدرسة الرمزية ، و المدرسة البرناسية ، ثم المدرسة السريالية ، و كل
هذه المدارس لا تزال ترقد من معين الرومانسية الذي لا ينتضب ، و كيف ينتضب و هو

١١٧ . س . بيتروف - الواقعية النقدية - ترجمة شوكت يوسف - وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ،

المتبع في ذات الانسان ، و ليس لهذه الذات أن تتوقف عن النبض ما دامت في فلك الوجود.

و تتبعت في أطروحتي هذه ، تلك الملامح الرومانسية التي كانت سائدة في أعمال أهم الجماعات الأدبية كجماعة الديوان ، و جماعة أبولو و جماعة المهجريين لأن هذه الجماعات الثلاثة هي التي تعتبر منبع جميع النشاطات الأدبية في الأدب العربي الحديث في كل منطقة من مناطق العالم التي توجد اللغة العربية فيها في أي نوع ، لم أذكر خصائص الحركة الرومانسية على المستويات المنطقية تجنباً من التفاصيل المفرطة ، و اكتفيت بذكر تلك المدارس الرائدة في هذا المجال.

و كذلك عرضت في هذه الرسالة الوجيزة حياة جبران خليل جبران ، و أسلوبه الأدبي و ألقيت نظرة عابرة على العناصر الرومانسية التي توجد في أعماله الأدبية و مدى قوتها.

المراجع و المصادر العربية

- (١) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - مكتبة الهلال القاهرة ١٩٣٧ م
- (٢) رواد النهضة الحديثة - عبد مارون - دار العلم، بيروت ١٩٥٢ م
- (٣) فنون الأدب المعاصر فى سوريا - عمر الدقاق - دارالشرق ١٩٧١
- (٤) تطور الأدب الحديث فى مصر - أحمد هيكل - الطبعة الثانية دارالمعارف القاهرة
١٩٧١ م
- (٥) القنون الأدبية وأعلامها - أنيس المقدسى - دار العلم للملايين بيروت فى النهضة
العربية الحديثة ١٩٦٣ م
- (٦) الأدب العربى المعاصر فى مصر - شوقى ضيف - الطبعة الرابعة - دار المعارف
١٩٦٩ م
- (٧) الإتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر - محمد حسين - ج / ٢٠٦ . القاهرة ، ١٥٦
- ١٩٥٤ م
- (٨) الأدب وفنونه - عز الدين اسماعيل - القاهرة ١٩٥٥ م
- (٩) الأدب ومذاهبه - محمد مندور - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥١ م

- (١٠) في الأدب المصري المعاصر - عبدالقادر القط - القاهرة، ١٩٥٥ م
- (١١) في الأدب و النقد - محمد مندور - القاهرة، ١٩٤٩ م
- (١٢) نشأة النثر الحديث - عمر الدسوقي - ج / ١ ، القاهرة، ١٩٦١ م
- (١٣) النثر العربي المعاصر في مائة عام - أنور الجندي - القاهرة ١٩٦١
- (١٤) دراسات في الأدب الحديث - لويس أواد - دارالمعارف - القاهرة، ١٩٦١ م
- (١٥) الأدب العربي المعاصر في العراق - داؤد سلوم - مطبعة المعارف البغداد ١٩٦٢
- (١٦) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران - جمع وتقديم ميخائيل نعيمة -
بيروت ١٩٦٤ .
- (١٧) تطور الشعر العربي الحديث في العراق - الدكتور علي عباس علوان - وزارة الاعلام
- العراق، ١٩٧٥
- (١٨) عن اللغة والأدب والنقد - الدكتور محمد أحمد العزب - الطبعة الأولى -
دارالمعارف، القاهرة، ١٩٨٠
- (١٩) مذاهب الأدب معالم و انعكاسات - الدكتور ياسين الأيوبي - الطبعة الثانية،
دارالعلم للملادين - بيروت ١٩٨٤
- (٢٠) فصول في الشعر ونقده - الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الغانية، دارالمعارف،
القاهرة، الطبعة الخامسة،
- (٢١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية - الدكتور بكرى شيخ أميس،

دارالعلم للملايين بيروت ، ١٩٨٦

(٢٢) الدلالة الإجتماعية لحركة الأدب الرومانطيقى فى لبنان - يمنى العيد

(٢٣) الواقعية النقدية - س . بتروف - وزارة الصِّقافة ، دمشق ، عام ١٩٨٣ م.

(٢٤) الشعر كيف نفهمه و نذوقه - اليزابيث درو - ترجمة محمد إبراهيم الشويس ، طبعة

عنانى الجديدة ، بيروت ١٩٦١ م

(٢٥) رفائيل - لامرتين - ترجمة أحمد حسن زيات طبعة ١٩٦٨ م

(٢٦) شعراء مصر و بيئاتهم فى الجيل الماضى - العقاد - القاهرة ١٩٣٧ م

(٢٧) الرومانطيقية و معالمها فى الشعر العربى الحديث - عيسى يوسف بلاطة - بيروت

(٢٨) دراسات فى الشعر العربى المعاصر - الدكتور شوقى ضيف - طبعة دار المعارف ،

القاهرة

(٢٩) معالم النقد الأدبى - عبدالرحمن عثمان - دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤ م

المراجع الإنجليزية

1. Haywood, J.A: Modern Arabic literature (1800-1970) an introduction with extracts in translation lurd humpheries, loudon 1971.
2. Mahdi, Ismat : Modern Arabic literature (1900-1967) Dairatul Maarif Press Osmania University Hyderabad. First published, 1983.
3. Salma Khadra Jayyusi : Trends and Movements in Modern Arabic Poetry, Lieden E.J. Brill.
4. J. A. Cuddon : Dictionary of Literary terms and literary theory, Penguin Books, London.
5. Visvanath Chatterjee : The Romantic Tradition, Department of English, Jadavpur University, Calcutta.

محتويات البحث

الصفحة	العناوين
١	مقدمة
	الباب الأول الحركة الرومانسية
	الفصل الأول
٤	النشأة التاريخية للحركة الرومانسية
	الفصل الثاني
١٦	الأسباب و العوامل التي دفعت إلى ظهور الحركة الرومانسية
٢٣	موضوعات الرومانسية
	الفصل الثالث
٢٩	الرومانسية في الأدب العربي الحديث
	الباب الثاني ميزات الحركة الرومانسية العربية
	الفصل الأول
٣٧	الرومانسية في أدب مدرسة الديوان

الفصل الثاني

٤٣ الرومانسية في أدب جماعة أبولو

الفصل الثالث

٤٩ الرومانسية في أدب المهجر

٥٤ خصائص أدب المهجرى

الباب الثالث مساهمة جبران خليل جبران

في الحركة الرومانسية

الفصل الأول

٦٨ حياته

٧٢ أسلوب جبران خليل جبران

الفصل الثاني

٧٩ آثاره الأدبية

الفصل الثالث

٩٧ الرومانسية في أدب جبران

١٠٤ خاتمة البحث

١٠٦ المراجع و المصادر